المقتبس

تاريخ الحضارة

مترجم عن الافرنسية

نتائج الحروب الصليبية — كانت نتيجة الحروب الصليبية قصيرة الأمد لم تستطع مملكة القدس أن تقاوم المسلمين بل انحلت سنة ١٢٩١ ودك البزنطيون أساس الامبراطورية اللاتينية التي أسست سنة ١٢٠٤ ولكن أمر القدس أخذ يجذب اليه كل سنة أفواجاً من الحجاج فخصصت لنقلهم سفن تقلع من البندقية وجنوة ومرسيليا وهكذا انشئت الصلات المنظمة بين ايطاليا والشرق

ولم تكن وحدها أدوات التجارة ومحصولات البلاد الحارة وأبازير الهند (كالفلفل وجوز الطيب والزنجبيل والقرفة) والعاج وحرير الصين والأقمشة والبسط والسكر والقطن والورق الا في أسواق الاستانة وبغداد والاسكندرية وكانت هذه السلع التي يرسلها العربيون من وراء آسية ويبذلون في سبيلها كل مرتخص وغال ربح أرباحاً فاحشة فمنذ بدأ أهل البندقية رعايا الامبراطورية البزنطية يتجرون مع قرطبة وأخذ الناس في أوربا في القرن الثاني عشر يؤثرون أن يذهبوا لاستبضاع متاجر الشرق من مصادرها فنمت المدن التجارية الكبرى في ذاك العهد كالبندقية وجنوة وبيزا بسفنها الى موانئ الشام حيث كانت تصل قوافل دمشق وبغداد وكان للبنادقة في القرن الثالث عشر حي خاص في القسطنطينية بعد أخذها ومكاتب تجارية على البحر الأسود حيث يتجرون وطرابزون وسمح أمراء المسلمين في مصر وطرابلس الغرب بالتجارة مع رعاياهم وعقدت البندقية وجنوة معاهدات شبه هذه العلاقات مراكب البندقية وجنوة ترد بصورة منظمة الى الاسكندرية

تنقل الأزار والأقمشة وعلى هذا فالصلات بين الغرب والشرق قد بدأت بحرب بين المؤمنين وانتهت بمسائل بين المتجرين وأخذ تجار الألمان وكانوا الى القرن الحادي عشر يجلبون بضائع الأستانة بركوب المراكب في نهر الدانوب أن يجتازوا جبال الألب ويبتاعوها من تجار ايطاليا فتغير طريق التجارة الأعظم وترك طريق الدانوب وأصبح طريقها من الاسكندرية مارا بالبندقية فثنية برينر فاكسبورغ فنورمبرغ

الصلات بين الشرق والغرب — يحضر الغربيون باحتكاكهم مع الشرقيين وانه ليتعذر القول في تحديد الطريق التي دخل منها الى اوربا اختراع من اختراعات الشرق وهل أتت اليها من طريق أهل الصليب (١) في فلسطين أومن طريق التجار الايطاليين أو العرب في صقلية أو من المغاربة في أسبانيا ولكن يمكن تقدير الحساب بما نحن مدينون به للعرب وهذا الحساب يطول شرحه

فقد أتانا من العرب (أولا) الحنطة السوداء والهليون والقنب والكتان والتوت والزعفران والأرز والنخيل والليمون والبرتقال والبن والقطن وقصب السكر التي أصبحت أهم زراعات أمريكا (ثانيا) معظم صناعات القرون مثل الاقمشة الدمشقية القطنية والمخمل وأقمشة الحرير المزركشة بالفضة أو الذهب والشاش الموصلي والشفوف (المرققات) والصندل والحبر والخزف الذي زيد اتقانه في ايطاليا بعد حين والزجاج والمرايا التي قلدوها في البندقية والورق والسكر وعمل الحلويات والمشروبات (ثالثا) مبادىء كثير من علومنا كالطب وحساب المثلثات والكيمياء والارقام العربية التي اقتبسها العرب من الهنود فسهل بها الحساب مهما كان صعبا . دع عنك السحر وعمل التعاويذ التي اعتقد فيها الايطاليون الى يوم الناس هذا وحجر الفلاسفة الذي كان بعض امراء الألمان يبذلون من مالهم للبحث عنه حتى القرن السابع عشر وذلك بواسطة صناع الذهب أو الكيماويين

ولقد جمعت العرب ووفرت جميع الاختراعات والمعارف المأثورة عن العالم القديم في الشرق (كيونان وفارس والهند وبابل والصين) وهم الذين نقلوها الينا وقد

---

(١) ربما بولغ في تقدير حظ الصليبيين من هذه الحضارة وذلك لان اهل الصليب في فلسطين لم تكن لهم صلات الا مع محاربين من المسلمين جاؤوا الى دار الاسلام حديثا وهم برابرة متوحشون

ودخلت كثير من الألفاظ العربية فى لغاتنا (١) ومن أشهرها [illegible] علومهم . وبواسطة العرب وصل العلم العربى الذى انتشر سريعا فى مدارس المدنية فقد كان لأفكارنا وصناعاتنا الروابط بالقدماء فى جميع الاختراعات التى تحمل الحضارة الحديثة طبيعة قد جاءتنا من العرب

تأثير الحروب الصليبية فى المعتقدات — أدى الاحتكاك بالشرق فى الأفكار الدينية عند المسيحيين أيضا فقد [illegible] أولا قتال [illegible] ولما شاهدوا المسلمين عن قرب رأوا فيهم رجالا أشداء متورعين كرماء أمثال صلاح الدين الذى أطلق سراح أسرى المسيحيين دون فدية ومد عطاياه إلى أحد زعماء الصليبيين وقد مرض ليداويه فبدأ المسيحيون يحترمون المسلمين ولما أراد الصليبيون أن يجمعوا فضائل الديانة المسيحية والمسلمين واليهود [illegible] اضطرهم ذلك أن يقابلوا بين الأديان الثلاثة ومن هذه المقارنة استنتج بعضهم أن الأديان الثلاثة باطلة لأن كل واحد منها يدعى أنها حقيقية وما عداها باطل وقالوا إن الدنيا ساءها ثلاثة دجالين عظام (كذا) موسى ويسوع المسيح ومحمد (صلوات الله عليهم) فخدعوا اليهود والنصارى والمسلمين وهذه الجملة نسبت خطأ إلى الامبراطور فردريك الثانى وسرت فى ايطاليا فى القرن الثالث عشر . واستنتج آخرون المتشككين قالوا إن الأديان الثلاثة حسنة كلها ووضعوا هذا المثل « كان رجل عنده خاتم ثمين [illegible] ويحب أولاده الثلاثة بدرجة واحدة فصنع خاتمين شبيهين به تماما [illegible] إلى كل واحد منهم خاتما [illegible] الأب فأخذ كل من الأولاد الثلاثة يطالب بالإرث الذى له علاقة بالخاتم فعجز القاضى عن تعيين الوارث [illegible] والنصارى والمسلمون واليهود كلهم ثلاثة أبناء لأب واحد ساوى [illegible] أراد أن يكون لكل منهم حظ من إرثه » وقد حمل المسيحيون فى آخر هذه القصة [illegible] فقالوا إنهم أتوا بمريض واستكوه [illegible] الثلاثة فشفى [illegible] الخاتم الحقيقى والمعجزة [illegible] الدين الحق . والمعجزات قالت أن النصرانية أفضل

فرنسا فى القرن الثالث عشر

المملكة الفرنسوية فى القرون الوسطى

ارتقاء المملكة على عهد الكابتيين — لم يكن ملك فرنسا سيدا إلا فى [illegible]

---

(١) مثل الالكحول والاكسير [illegible] والأنبيق [illegible] والقطن [illegible] ودار الصناعة وأمير البحر وسمت الرأس [illegible] وصفر وغيرها

القرن الثاني عشر وأملاكه لا يحدها. فكانت سياسة البيت الملكي في فرنسا سياسة أسرة من الفلاحين تبحث في توسيع أملاكها فيقتني أفراده بالبيع والزواج والفتوح أملاكا يضمونها الى أملاكهم رويدا رويدا فيبسطون أيديهم مرة على ولاية وأخرى على كونتية صغيرة (سانس ومولون) وأحيانا على محلة صغرى (مثل مونلري وبوجانسي) وقد زادت أملاك البيت المالك على عهد فيليب أغسطس ثلاثة أضعاف ما كانت عليه بأخذ أملاك دوق نورمانديا فكثر عديد الفرسان في جيش الملك كما كثر المال في خزائنه والرعايا في أملاكه أكثر من كل أمير في فرنسا وأصبح أكبر سيد في مملكته وأناب عنه في أملاكه المنتشرة في أقطار فرنسا حكاما أخذوا يعملون خلاف وكلاء كبار السادات ليجعلوا اسم سيدهم محترما في كل صقع وواد

باريز على عهد فيليب اغسطس — كانت باريز في القرن التاسع على عهد حصار النورمانديين لا تجاوز رقعة الجزيرة وفي أواخر القرن الثاني عشر امتدت على ضفتي النهر ولكي يجعل فيليب أغسطس الأحياء الجديدة بأمن من هجمات العدو انشأ حول المدينة التي وسعها على هذه الصورة سورا غليظا ذا ابراج لا تزال ترى الى اليوم بعض بقاياه وظلت المدينة أبدا في الوسط وهناك كانت الكنيسة الكاتدرائية (التي أصبحت بعد كنيسة نوتردام) ومقر الأسقف وقصر الملك (حيث جمع سان لوي فيما بعد مجلس نوابه وأصبحت دار العدل أو ديوان المظالم) وعلى الشاطئ الايسر من ناحية جبل سانت جنفييف طلبة المدارس ورجال الكهنوت الذين يختلفون الى المدارس ومن هذه الجهة انتهى السور امام طرف جزيرة تورنل مارا بجبل سانت جنفييف وامتد الى نهر السين قبالة متحف اللوفر. وعلى الشاطئ الايمن يبدأ السور قبالة المدينة وينتهي باللوفر. وكان السكان في هذه الرقعة الضيقة يزدحمون حتى لا يصيبوا فراغا عظيما فكانت الازقة ضيقة معوجة مظلمة لا بلاط فيها ولا نور. وليس فيها بوليس تقرع كل مساء علامة الانصراف الى البيوت فيعود الاهالي ويأوون الى منازلهم ويغلقون أبوابهم وكانت الازقة عرضة اللصوص والمشردين من كل جنس ومن الخطر الهائل ان يلقي المرء نفسه في التهلكة باجتيازها.

وما كان لمدينة باريز ادارة عامة بل كانت مبنية على أرض شطر منها فقط ملك الملك وكانت عدة أحياء ولا سيما ما بني منها خارج السور من الاراضي مبنية في املاك الأديار التي كانت لدى بدء نشأتها في القرى مثل سان جرمان دي بري (القرب من

ري أو كلرك الذي كان يمتد إلى شاطئ السين إلى سان دني وسانت جنيف وليس الملك هو السيد في هذه الأحياء بل رئيس الدير وله الحق لا أن يتقاضى كراء البيوت التي بنيت في أملاكه بل أن يقضي ويحكم في قضايا السكان والجرائم المرتكبة في حيه أجمع.

ولما لم تكن باريس جسما واحدا حتى أن شطرها الذي هو ملك خاص للملك لم يكن منظما تنظيم البلديات كما كانت كثير من المدن الصغرى (مثل أميان وبوفيه ونويون وغيرها) وليس لباريس مجلس بلدي ولا شيخ لها ولا مرقب بل كان العمال الذين يعملون عملا واحدا والتجار الذين يتجرون صنف واحد في باريس وفي غيرها من المدن يجتمعون اجتماعات تتشكل منها نقابة وصندوقه وزعماؤه وكانت أقوى النقابات في باريس نقابة تجار الماء أي السماسرة مجهزي المراكب الذين كانوا يتجرون على السين [illegible] وظلوا زمنا يسمونه أمين التجار (شاهبندر) ومجلس [illegible] مشايخ البلد وما لبث أمين التجار ومشايخ الديوان هؤلاء أن [illegible] الطبقة الحاكمة في باريس وسمي البيت الذي كانوا يجتمعون فيه مبنى المدينة أو المجلس البلدي وسمي اجتماعهم جماعة المدينة ولا يزال لمدينة باريس إلى اليوم شعار من قارب [illegible] رمزا إلى جماعة تجار الماء وأول من سعى في تحسين عاصمته فيليب أغسطس رأى ملوك فرنسا [illegible] سورها [illegible] رصف بعض أزقة المدينة وطرد [illegible] القذرة التي كانت حول قصره [illegible] الصالحة [illegible] في القرن الثالث عشر ولم يبق في باريس الحديثة من آثار فيليب أغسطس سوى كنيسة جرمان دي بري وكنيسة سان جوليان لو بوفر الصغرى.

سان لوي — كان سان لوي ملكا [illegible] في القرون الوسطى مسيحيا عالما وفارسا شجاعا [illegible] جمع الفضائل التي [illegible] مبارك أهل عصره من مثل التقوى والشجاعة والعدل [illegible] في يوم [illegible] الصلاة و[illegible] المسيح [illegible] أرجل الفقراء ويعترف [illegible] تكفيرا عن سيئاته [illegible] طرد اليهود وإحراق [illegible] القدس [illegible] في الحرب يتقدم صفوف رجاله [illegible] كما قال جوانفيل فهو حكيم القرن بالأدب مع الله ويشعر أنه يجب عليه أن يحكم بين الناس بالعدل وكثيرا ما كان يذهب إلى غابة فنسين ليجلس تحت شجرة أو في حديقة [illegible] وكل من لهم شأن يأتونه

فيكلمونه بدون ان يحجبهم حاجب من الحجاب فيحكم بينهم فورا فيه فيطلقون وأقصى أمانيه ان يحكم في الجميع حكما عادلا لا هوى للنفس فيه . طلب أحد كبار سادات المملكة انكران دي كوسي ثلاثة من الطلبة لانهم اصطادوا في قصره فقبض الملك عليه وجاء به الى قصره فطلب فيه السادات بحسب العادة ان يدفع هذا السيد عن نفسه بالبراز فأبى سان لوى ذلك قائلا ان مسائل الفقراء والكنائس والاشخاص الذين تستحق لهم الشفقة لا يجب المرء ان يستعمل فيها على هذه الصورة فيجعل الحكم الغالب . فاغتاظ السادات وخرجوا من قصره فترك الملك هذا الموضوع ووضع المسألة على بساط الحكم فهتف أحد الاشراف مستهزئا لو كنت ملكا لصادرت باروناتى فسمعه الملك وقال له : ماتقول يا جان هل تقول ان الواجب ان أسلب باروناتى لا ليس الأمر كذلك بل اني مطالبهم اذا أساؤا . ولقد كان الشعور بالعدل عظيما في سان لوى بحيث رفعه الى مستوى أعلى السادة وحظر البراز في كل بلاده وأصبحت جميع المسائل التي كان يحتكم فيها الى البراز تحكم فيها بحجج وشهود لان القتال كما قال ليس طريقا الى الحق و بهذا فقد قدس سان لوى المملكة الفرنسوية وعود القوم ان يروا ملك فرنسا مصدر العدل كله .

معاهد سان لوى — نعم سان لوى بالقدوة والاحترام الذي حازه أكثر مما نعم بالقوانين والانظمة . واعتقد زمنا طويلا انه سن جملة من القوانين كانوا يسمونها نظامات سان لوى ثم ادركوا ان هذه النظامات الموهومة لم تكن سوى تأليف مجموعتين في الحقوق أخذتا من العادات وكتبتا في أواخر القرن الثالث عشر على يد أناس من أرباب التجارب غير معروفين ولا علاقة لهم بالملك . وظن أيضا ان سان لوى ألف رسالة او لوائح حقوق الكنيسة في فرنسا ثم تبين ان هذه اللوائح المزعومة قد وضعت في القرن الخامس عشر وربما كانت بعد لوائح شارل السابع والاوامر الصادرة حقيقة عن سان لوى هي أوامر البراز ولوائح لتنظيم حسابات المستخدمين في املاكه .

الحياة العقلية والصناعية

كلية باريس — كان بباريس كما كان بعامة الابرشيات مدرسة ملحقة بالكاتدرائية وكان لكثير من الاديرة مدارس خاصة بها مثل سان جرمان دي بري وسان جرمان

و كسروا رياسات جينيفيف) وقد كثر عدد الطلبة حتى ضاقت بهم الجزيرة فاتخذوا يزاولون الضفة اليسرى من السين وفيما بين سنتي ١١٠٣ و ١١٢٢ كان أحد عامة من الشبان الذين جاءوا إلى [illegible] ظرافة و [illegible] وهو أكثر أهل عصره ذكاء (ولم يعرف إلا قليلا من اليونانية والعبرانية) يلقي دروسه في الفلسفة على ثلاثة آلاف مستمع وما كانت تسع هذا الجمهور قاعة ولا ردهة فكان [illegible] يلقيها من الكرسي في جبل سانت جنيفيف.

وكان من العادة الجارية أن يعد أهل الحرفة الواحدة جماعات فكم يجتمع الخياطون والخبازون وصانعو الأحذية وأهل كل حرفة على حدتها فكذلك المعلمون الذين يعلمون بالمدارس [illegible] وقد وضع المستحدثون [illegible] على هذا الاجتماع في القرن الثالث عشر اسم مدرسة باريز الكلية (أي مجموع المعلمين والطلبة في باريز) وكان لها رئيس منتخب وخدمها ومكتب [illegible] الحق وخاتم [illegible] تقضي بين الأساتذة والتلامذة وكثيرا ما تخالف كلية باريز مع أمين التجار ليعطيها الحق دونه. وقد طلب أمين التجار إلى باريز سنة ١٢٠٠ طالبين [illegible] في منازعة كالتي كانت تحدث كل يوم في تلك الفرق الضيقة المتعصبة بالشرطي فأقفلت الكلية صفوفها فسكنت هذه [illegible] إلى [illegible] فاضطر أمين التجار أن يذهب لإزالة الغضب بين [illegible] وأن يلقيها و [illegible] الكلية لأنه خرق امتيازاتها.

وانقسمت الكلية إلى حلقات [illegible] من العلم فبعد أن أدخل إليها علم الحقوق والطب (وقد بنى هناك العلماء مدرسة في باريز في القرن الثالث عشر) صار لها أربع مدارس اللاهوت والحقوق والطب والفنون. وكانت مدرسة الفنون تحتوي على جميع علوم [illegible] (النحو والبيان والمنطق) والرباعيات (الحساب والموسيقى والهندسة والفلك والفلسفة) وبعض الأساتذة رواتب [illegible] أجورا من المستمعين ورسم مكتوب على [illegible] (١) ولكن [illegible] من أحجار مختلفة في المدينة ولكن منذ قام بعض المحسنين في القرن الثالث عشر وأوائل [illegible] أخذ كثيرون [illegible] في هذه المدارس على [illegible] على نظام الأديار وكان لكل مدرسة ثلاث درجات في التعليم

---

(١) هذه العادة ما زالت إلى اليوم في [illegible]

ينال الطالب من إجازاتها بعد أن يثبت علمه بفحص وقضية يثبتها أو جدل يناضل فيه ثم يصبح بكلوريا أو معلماً أو دكتوراً وكان القوم يرغبون في نيل هذه الدرجات الثلاث لأن صاحبها يجد له عملاً في الكنائس والمحاكم أو المدارس على أيسر وجه

وكانت كلية باريز في القرن الثالث عشر أعظم مدرسة في أوربا تؤوي زهاء عشرين ألفاً من الطلبة على اختلاف بلادهم وهي التي رسمت لأوربا صورة التعليم العالي وحذت كليتا أكسفورد وكمبردج الإنكليزيتان حذوها ولما أراد أمراء الألمان تأسيس مدارس في بلادهم أنشأوا لهم كليات جروا فيها على مثال كليات باريز ومنها انتهت إليها طريقة الرتب وتقسيم المدارس الذي لا يزال على حاله القديم في ألمانيا (١)

الحقوق الرومانية — عاد الإيطاليون يضعون الحقوق الرومانية موضع العمل وقد أخذوا في القرن الحادي عشر يدرسونها في إيطاليا درساً أصولياً في كتب يوستينيانوس (٢) فكان الأساتذة والطلبة يجتمعون في بولون وبلغ عددهم عشرة آلاف طالب واشتغلوا قرنين في تفسير كتب القوانين الرومانية والتعليق عليها سطراً سطراً وتألف من شروحهم ذيل علق عليه علماء القانون في القرن الثالث عشر شروحاً جديدة وكانت الولايات الجنوبية في فرنسا فقط (حتى ولاية أوفرن) تعمل بالقانون الروماني أما ولايات الشمال فتجري على العادة ويحكم مجلس النواب في باريز بموجب العادة

بيد أنه كان للقوانين الرومانية الترجيح على العادة وذلك لأنها هي التي دونت وهي وحدها تدرس في المدارس فكانت تسمى العقل أو الحق أي خلاف العادة بلا زيادة ولا نقص ويقضي القضاة والمحامون الذين يحملون شهادات الحقوق بعد سنين في دراستها بعضهم في بولون والآخر في أورليان أو مونبليه . وكان القانون الروماني في عدة مواد يحكم بخلاف العادة فتشيع علماء القانون بهذا الحق وأدخلوه بالتدريج حتى

---

(١) سميت مدرسة الفنون في ألمانيا بمدرسة الفلسفة أما في فرنسا فقد قسمها نابليون إلى قسمي الآداب والعلوم (٢) كثيراً ما دار على الألسن أن الحقوق الرومانية قد نسيت بتة إلى أن جاء أهل بيزا بمخطوط من مجموعة الفتاوى (بندكيت) سنة ١١٣٥ ظفروا به في نهب مدينة أمالفي والأمر الواقعي الوحيد في هذه القصة هو أنه كان في بيزا مخطوط من مجموعة الفتاوى معتبرة جداً

على غير معرفة منهم في العادة و بما أدمج القانون الروماني في القرن الثالث عشر ودام الى آخر القرن السادس عشر فعدلت به العادات القديمة كل التعديل ولا سيما وقد أضعف سلطة السادة والشريفات التي سكت عنها القانون الروماني وقوى سلطة الملك وحكامه لان المشترعين فيه تعمدوا ان يعطوا الملك كل ما كان يعطيه القانون للامبراطور او ولاته من الحقوق. ولما طبقوا على الملك كل ما اعطاه القانون الروماني لولاة الرومان وحكامهم ورد في قانون الرومان (ان ما يرضى به الامير يكون له قوة القانون) فاصبحت هذه الحكمة قاعدة الحكومة في فرنسا حتى الثورة وكانت أساس السلطة المطلقة .

◆

رحلة الى المدينة المنورة

البلقاء

الى الجنوب [illegible] وأربعين كيلو مترا جنوبي دمشق بين نهر الاردن غربا وسكة الحجاز في طريق الحج شرقا ونهر الزرقاء شمالا ووادي الموجب جنوبا [illegible] واسع خصب سهل جبلي اسمه البلقاء طوله من الشمال الى الجنوب [illegible] ساعة للماشي المجد وعرضه من الغرب الى الشرق [illegible] ساعة او نحو [illegible] كيلو مترا [illegible] كيلو متر وهذا الاقليم الذي [illegible] على [illegible] من [illegible] على الكرك [illegible] البلقاء [illegible] الشام ووادي الاردن [illegible] كثيرة [illegible] وقيل ان البلقاء هي [illegible] في الكتاب المقدس [illegible] [illegible] سالوس [illegible] [illegible]

ووقع [illegible] في لبنان وكانت [illegible]

الاشجار والحقول فضلاً عن كثرتها بما عندهم من العيون التي تروي زروع الوادي اذا ما كان وراء المدينة من الغابات والآكام فقد كان حولها الى عهد قريب وآثار بعض سنديانه وبلوطه مسرحت [illegible] قطعان ولكن القوم قطعوها واستعاضوا عنها بزراعة الكروم التي امتد عمرها وزرعوا الجوز واكثرها هذه الشجرة المباركة في سورية وقد يكون العنقود الواحد رطلاً شامياً او اكثر ولا يزال يصدر من زبيبه ما تقدر قيمته كل سنة بنحو خمسة عشر الف ليرة وفي جوار السلط قليل من شجر الزيتون سألنا احد شيوخهم عن السبب الذي دعا الى عدم استكثار القوم من غرسه فقال لا تذكرنا بلاوينا فقد حملنا منه بلاء شديداً احد متصرفي نابلس ايام كان قضاؤنا تابعاً لنابلس الزم الناس ان يغرس في هذه الاودية التي تراها مئة الف زيتونة ووقع في اذهاننا ان الامر دسيسة من الحكومة تريد بها وضع الضرائب الفاحشة على املاكنا كما تستحل الاراضي التي نزرعها ميرية لا نعود نملكها ملكاً حقيقياً فصدعنا بالامر في الظاهر وغرسنا الوفاً من شجر الزيتون ولكن اتدري كيف تخلصنا منه بعد؟ كنا نعمد كل ليلة الى غرسة الزيتون فنحركها حتى لا تطلع جذورها وهكذا لم يبق من كل هذه الغرسة الا ما تشاهده اليوم في جوار القصبة وقليل ما هو

فتأمل وتعجب لتبدل تصورات الناس ورجال الحكومة بالامس كانوا يحملون الناس على زرع الاشجار ويرغبون في اقتناء الاراضي الزراعية واليوم يطلب الاهلون في هذا القضاء وفي غيره الاراضي الموات ليحيوها ولا يعطون طلبتهم وكذلك الحال في كل مكان تراه فيه طالب يرغب من الاهلين احياء موات الارض هكذا رأينا اهل الشراة من عمال الطفيلة ومعان وهكذا سمعنا شكوى اهل الكرك وتبوك ومدائن صالح اجمع الى طلب ذلك القاصي والداني ولكن لا حياة لمن تنادي . في حين ورد في قانون الاراضي ان كل من يحيي ارضاً مواتاً بعيدة عن القرى والدساكر مقدار ما يسمع الصوت فهي له فأين هذا القانون المسطور من عمل الحكومة اليوم

قرأنا سطور الجد والنشاط في وجوه السلطيين مسلميهم ومسيحييهم وان كانت القاعدة في سورية كلها ان يكون المسيحيون اكثر نشاطاً وعملاً من اخوانهم في

الوطنية . [illegible]

[illegible]

ويشكل مدينة السلط [illegible]

[illegible]

[illegible] وهي الآن أربع ساعات على [illegible]

[illegible]

[illegible] السلط [illegible]

[illegible]

[illegible] وادي الأردن [illegible]

[illegible] البحر الميت [illegible]

ثم جبل الطور وما يواجهه من الجبال المحيطة ببحيرة طبرية ومن بعيد جبل الشيخ وبه تنتهي هذه المنظرة من الشمال

ويقول العارفون من الافرنج ان الاعتقاد بالنبي يوشع الذي يزعم له البدو ويقربون اليه هو من التقاليد الاسرائيلية القديمة وان بناء قبره يرد الى زهاء ثلاثمائة سنة . وليوشع مقام أيضاً في جبل الطور قرب قرية حارث وجبل يوشع في البلقاء أشبه بيوشع ثانٍ سمي أي دروة يوشع في قرية بكوز المطلة على بحر مرمرة وخليج القسطنطينية هذا منظره بحري وذاك منظره بري ومن غريب التقاليد ان البدوي يحلف بالله ولكنه لا يحلف بيشوع . ومقام شعيب على ساعتين من السلط أيضاً .

كانت عمان قصبة البلقاء وخربت في أواخر القرن الماضي بما تواتر عليها من الزلازل وغارات البادية حتى جلا عنها اهلها سكانها الاصليون فانزلت فيها الحكومة منذ ٣٤ سنة مائة أسرة من الجركس من عشائر مختلفة هاجروا الى البلاد العثمانية من ولاية كوبان الروسية وأخذوا يردون غارات البادية واعتمدوا في عمرانها على مضائهم وشجاعتهم وبما لهم الماضي بمدينة ضخمة قريبة لهم وساعدتهم مياه نهر الزرقاء فغرسوا الاشجار وانشأوا الحدائق وأثروا بطريقتهم المألوفة لهم في الزراعة ببلادهم وقد هلك منهم ناس كثير من الغش والامراض حتى توطدت اقدامهم واغتنوا واصبحت الحكومة بعد ان كانت تأخذ من عمان مئة ريال في السنة تتقاضى نحو ثلاثة آلاف ليرة ولا تلبث ان تزيد بزيادة عمران عمان والساع تجارتها على أيدي النشيطين من النابلسيين والدمشقيين ومعظم تجارة البلقاء في أيديهم اليوم

نقول انها كانت مدينة عظيمة والدليل ان القائم دار تمثيلها كبيرة جداً تكفي لجلوس ثلاثة آلاف نسمة وفي مسرحها ٤٥ صفاً على شكل نصف دائرة وفيها آثار قلعة مهمة ومعظم جوامعها بنيت من احجار المدينة القديمة وكذلك قرية رأس عمان الحديثة الواقعة على قيد غلوة من عمان وسكانها جراكسة أيضاً .

لاجرم ان الجركس ادخلوا روحاً جديدة الى هذا القضاء من التوفر على الزراعة والنشاط المستمر وان الأهلين تعلموا منهم بعض الشيء الآن فالحكومة

الاستعمال فسلبوا اما اكثر الاهلين من الاراضي والمزارع العامرة واعطوها للمهاجرين الجركس والشيشان والتركمان كما فعلوا في صويلح وعيون الحمر فقد كانتا مسجلتين باسم أصحابهما فاعطتها الحكومة للمهاجرين وذلك لانه كتب اليها كتبة ان يحولوا أمورية الطابو في هذا القضاء لانه منهم على الاهالي فكانوا يساعدون اخوانهم وابناء جلدتهم على سلب الاراضي منهم وتسجيلها باسم المهاجرين وعلى هذه الصورة أخذ المهاجرون الناعور ووادي السير والبقعة والرصيفة وغيرها وصبر الناس على هذا الجور زمنا حتى صحت عزيمة بعض عشيرتي العدوان والعجارمة على ان يزرعوا الموقر والعليا والقنيطرة وهي على نحو ثلاث ساعات من شرقي عمان فيسير في اراضيها الراكب عشر ساعات كما ان بعض الفلاحين يزرعون اليوم في سهل السكيد في الموقر وهذا السهل جيد التربة جدا لا الحصر فيه ولا مطر ولو أحبت الحكومة احياء الموات حقيقة لاوعزت للاهلين ان يحيوا أراضي الموقر والعليا كلها فان فيها زهاء الف بئر معطلة تحيا بمالية قليلة

واكثر عشائر هذا القضاء بدو وحضر وهم يتنقلون بين الغور في الشتاء والأراضي العالية في الربيع وفي الصيف يقيمون على حصاد الاراضي التي لهم في جهات الزرقاء ومادبا وهما مديريتان تابعتان للسلط كما ان عمان مديرية تابعة لها أيضا . وعموم قضاء السلط المعمورة اليوم ٤٣ الفا والاراضي بنو حسن وبنو صخر والبادية يبلغ سكانه مئة الف او يزيدون ولو انتشر فيه الامن كما يجب واعطيت الاراضي الموات للاهلين وسجلت عليهم بحيث لا يتنازعون فيها تنازعا لان أكثر المنازعات تدور على الاراضي لبلغ سكان هذا القضاء نصف مليون نسمة بعد عشر سنين

وأهم العاديات التاريخية في هذا القضاء قصبة مادبا فقد كانت كاحدى الخرب منذ نحو ثلاثين سنة فهاجر اليها جماعة من مسيحيي الكرك فاقطعتهم الحكومة اياها خربة فعمروها فما هو الا ان وجدوا فيها آثارا مهمة مثل سوق طوله ١٤٠ مترا له عمد على الجانبين وبينا كانوا يحفرون في الانقاض الكنيسة ليقيموا كنيسة جديدة عثروا سنة ١٨٩٧ على قطعة من الفسيفساء في الصحن

فرضوا عليها المعاول وأزالوا ما كان علق عليها بتوالي الأيام من التراب والأحجار فاذا هو أثر عظيم من آثار مادبا هو مصور (خريطة) فلسطين وما فيها من المعاهد المقدسية والكنائس ولو سلمت كلها من معاول الذين حفروها لبلغ ثمنها الملايين والملايين من الليرات ولكن القطعة الصالحة الباقية منها تدل على تلك المدنية القديمة التي عمرت بها مادبا قديما منذ عهد الاسرائيليين الى المؤابيين الى العرب النبطيين الى المسيحيين وكانت في عهد هؤلاء مدينة مهمة واستولى عليها هيركان ملك اليهود قبل المسيح وأصبحت في عهد الرومانيين جزءا من بترا أو العربية الصخرية. وآثار الفسيفساء كثيرة في هذه القرية رأينا بعضها في الدور الخاصة ثم ما تحف بالأحجار لما انقاض دورها ومعابدها وأحواض مياهها تحدث عنها ولا حرج وقد دخل أهلها في المدنية اليوم بفضل مدرستي الروم واللاتين اللتين أنشئتا فيها وليس بين سكانها أحد من المسلمين الا بضعة حراثين

قال ابن خرداذبه ان ظاهر البلقاء كان كورة من كور دمشق كان جبل الغور وكورة مآب وكورة جبال وكورة الشراة وكورة عمان كانت كل منها اقليما برأسه قال الشاعر

سلام على دمن أقوت معالمه واستنطق الربع هل يرجع تبيانا

قال ياقوت ان مدينة جرش هي شرقي جبل السواد من أرض البلقاء ويعرف السواد بها بوادي من أرض البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها وفي أرض البلقاء عدة بلاد ورد لها ذكر في التاريخ العربي مثل قرية جادية التي ينسب اليها الجادي وهو الزعفران وقرية مؤتة ومشارف التي كانت بها تعمل السيوف المشرفية والموقر الذي كان ينزله يزيد بن عبد الملك قال كثير

سقى الله حيا بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب

والقسطل نزله الوليد بن يزيد وهو قرب البلقاء وحاله في عهد العباس ذكر أن الوليد يستوطن البخراء وفي البلقاء قصر الأزرق والبخراء قريب من حصن الأزرق وعمدة قيل انه من عمل حوران وفي بعض الروايات قيل انها من عمل البلقاء.

العمران والسكة الحجازية

ان كان لدور الاستبداد حسنة فقط حسناته سكة حديد الحجاز التي مدت في عهد المخلوع وشرع بها قبل احدى عشرة سنة والباقي منها جزء الآن القسم الاعظم من دمشق الى المدينة المنورة وطوله ١٣٠٣ كيلومترات ومن حيفا الى درعا ١٦١ كيلومترا انفق عليها فيما قالوا ثلاثة ملايين ليرة وقد صرف قسم مهم منها في مدينة دمشق فانتفع منه المحترفون والتجار والزراع والعملة وبعض أرباب الصناعات والفنون وانفق القسم الاعظم في ثمن أدوات وقاطرات ومركبات وحديد من معامل أوربا

وما كاد ينتهي الخط الى المدينة حتى نهضت البلاد بعض الشيء ولا سيما دمشق والمدينة وحيفا نهضة اقتصادية لا يستهان بها وحسن حال التاجر والزارع وسارت الامور الاقتصادية على نسق مرتب معقول لم يعد في التجارة ذاك الكساد الذي نعهده في دمشق ولا الفقر الذي كان في حيفا ولا الغلاء الفاحش في اسعار المدينة وهكذا انتعشت المحطات على طول الخط من دمشق الى المدينة وعددها ٧٥ محطة ومحطات حيفا ودرعا وعددها ١٥ فاخذت كل محطة بحظها من العمران واتسع مداها في الاكثر ما كان له أثر محمود في الارتقاء

ولو كانت الحكومة نفعت بعض الالتفات لعمران البلدان لاحدثت بأيدي كل من يودون انشاء بيوت ودكاكين وحانات وفنادق في المحطات والمطلوب منها المزروعات يجعلونها حدائق ويطول عليها مساكن على شرط ان يعمروها في مدة تعينها لهم واذا أمكن ان تبيع بعض محلات الحاجة مائة منها يستعينون بها على التعمير فكيف لا تنتعش والحالة هذه اذا رأيتها عامرة وعشرات من بيوت الساكن في مثل مدائن صالح وعددها لا يقل عن خمسين محلا مدعى انه لا يسوغ انشاء مدينة الا بارادة سنية فهلا استصدرت الارادات السنيات في الحث على مثل هذه المشروعات التي لا يتصور الغنى عنها في البلاد

وهكذا همت الحكومة مع من يرغبون اقامة الدور والحوانيت وما تقتضي

وضع الغابات في سبيل من يريد غرس أشجار البرتقال لانه ثبت انها تجود في تربة هـذه البلاد الرملية . وليت الادارة تحمل الحكومة على ترغيب الناس في انشاء الغياض والحدائق لما في ذلك من الفوائد لها اذ يستغنون باستثمارها عن صرف أوقات الفراغ في القاهرة ومعاقرة الخمرة وقتل عدد من متعاطيها منهم

على أن من الغابات ما لا ينبت فيه شيء بحسب الظاهر ولا تمطره السماء الا ساعات غير معلومة في السنة ولا سيما بعد أرض البلقاء وهواؤها جاف حار محرق وعمرانها متوقف على عمل كثير طويل ومال ليس بقليل فلنترك هذه الغابات تنتظر الآتي ويشاهد كل من يود اختيار الاراضي الموات قرب الغابات وانشاء دور وحوانيت فيها ولو فعلت الحكومة لاستغنت مع الزمن عن حراسة هـذا الخط بكتائب من الجنود ترابط على طول السكة وقوامها اثنتا عشرة قلعة من المدينة الى المدينة وهي اليوم تحمل في كل قطار يسافر من بلاد حوران الى المدينة جملة من الجند النظامي المسلح حماية الركاب من عبث البادية اذا حدثت حادثة لاقدر الله .

نقول عبث البادية ولو أعطت الحكومة العشائر منذ اليوم الذي بدئ فيه بمد هذا الخط الحربي الديني التجاري لا وسعت لهم من تلك السهول الخصيبة في ديار الكرك ما كانوا الآن استعملوا زراعته عوض الغارات وإيذاء السابلة طمعاً في اقتناص ما يتبلغون به ولو فرقوا على تربية مواشيهم وزروعهم كما يشهد اليوم من يجتاز في قطار الحجاز من مزارع في قضاء السلط والخيمات في معان والطفيلة والشوبك والطرانة في الكرك وغيرهم وغيرها وكل هؤلاء من العرب الرحل يأنسون بالنزول والاقبال على أولادهم وحصر نتاج الزراعة والماشية ولا شك انهم يشغلون بذلك عن الغارة كما سكنت الأطماع التي في جوارهم وخفت الاعتداء عليهم .

ولسكة الحجاز الفضل الأكبر في تأنيس شارد البدو اذ عرفوا ان قوة الدولة مهيبة في كبح جماح كل معتد ولما أصبحت تحمل حاصلاتهم الى الاسواق التجارية الكبرى فتكاثرت العرب تتكاثر في بعض المدن القريبة في جهات ذات الكرك

وحوران فأصبحت اليوم تسافر في القاصية وأبواب الشام والحجاز والبحر مفتحة أمامها وهكذا يقال في السمون والجبن والألبان والأصواف التي تحمل من باديتهم ومزارعهم والنامية في أقاليمهم

في لواء الكرك وحده أراض موات تكفي لإعاشة كل أهل البادية من العرب خصوصاً وهم الموصوفون بذكاء قلوبهم ومضاء عزائمهم فإذا توفرت لهم الأسباب تحصل الفائدة الاقتصادية والحربية المطلوبة من السكة الحجازية فتعمل هذه في نقل الأنفس والأموال والمتاجر السنة كلها لا كما هي اليوم تشتغل أشهراً معدودة من السنة في موسم الحج فقط على القسم الأقل وإن من عرف أن هذا الخط عمل بالإعانات التي جمعت من أقطار العالم الإسلامي وهمة ضباط العثمانيين وكتائب جنودنا وأن مئات هلكوا في سبيل إنشائه حيث لم يكن يمد الكيلومتر الواحد إلا على أشلاء بضعة من رجالنا ليأسف على تساهل إدارة السكة مع الضباط والجنود والخط خط عسكري

ولقد لاحظنا أن القطار الحجازي يقطع المسافة اليوم بين دمشق والمدينة في ثلاثة أيام بلياليها يقف منها في المحطات الكبرى مثل درعا ومعان وتبوك والمدائن نحو اثنتي عشرة ساعة دع عنك الوقت الذي يصرفه في المحطات الصغرى وأن معدل سيره على عشرين كيلو متراً في الساعة فلو تدبرت الإدارة في اختصار هذه المدة في الوقوف وحملت قطاراتها على الإسراع قليلاً في سيرها وسرعان ما يقطع القطار المسافة بين دمشق والمدينة وبين حيفا والمدينة في يومين وليلتين فيوفر على الناس بعض عناء السفر وإذا رأت الإدارة أنه مما يلائم مصلحتها الاقتصادية تنزيل أسعار الركوب في الدرجة الأولى والثالثة وأجرة الركوب في الثالثة من دمشق إلى المدينة أربع ليرات وفي الدرجة الأولى ثماني ليرات فأسقطت منها إلى الأقل ثلاثين في المئة لاستفادت فيما نحسب أكثر وكثر القاصدون والزائرون وعظمت الفوائد من ذلك فقصدها قاصد المدينة أكثر من الآن للزيارة والتجارة ويقصد المدنيون بلاد الشام ليصطافوا ويتجروا

وليت الحكومة تتساهل في الاعتماد على أبناء البلاد وتختار الجند الذين يحرسون الخط من أبناء حوران مثلا فهم أقدر على تحمل المشاق من ابن مدن آسيا الصغرى وسورية ومقدونية وغيرها في التجربة التي جربتها في الطابور الذي ألفته من الشروق بالأجرة وسمته هجين سوار أي فرسان الهجين والشروق هم سكان شرقي المدينة أي نجد فقد ثبت لها أن ابن هذه البلاد أنفع في خدمتها اذا شيء من ابن البلاد القاصية والفارس النجدي اليوم يتناول ٤٠ قرشا صحيحا في الشهر هو وهجينه فقط وما أحد يكلف الحكومة أقل من ذلك فضلا عن تعرضه للهلاك من هواء بادية العرب وكذلك يقال لادارة السكة ان تختار عمالها من العارفين لغة البلاد قبل أن يعرفوا التركية لأن في ذلك فوائد مهمة لا تخفى وإذا كان لا بد من الاستكثار من أبناء آسيا الصغرى وغيرها في جملة عمالها فعليها الا أن تشترط عليهم تعلم العربية وبذلك تتضاعف خدمتها للادارة والبلاد معا على ان ابن العراق والجزيرة والحجاز أقدر في كل حال على تولي أعمال هذه السكة خصوصا في النصف الاخير منها من جهة المدينة

وقد لاحظنا على ادارة السكة اهمال عمالها النظافة في المركبات ولا سيما في الدرجة الاولى بحيث أنها لا تزيد الراكب فيها راحة الا بكون مقاعدها مفروشة بالمخمل (القطيفة) وهي أضيق من مقاعد الدرجة الثانية ولا يخفى على القائمين بأمر السكة الحجازية أن التدخين محظور في القطار في الدرجات الثلاث بأوربا دع تعاطي المسكرات وانه ليسوءنا ما رأيناه من أن بعض موظفي الحكومة الذين كانوا آتين من المدينة المنورة يجعلون في مركبات الدرجة الأولى سفرة الشراب ويتعاطونه مع النقل اللازمة له والأغاني التي يطربون بها كأنهم في حانة أو بيت خاص من غير نكير يؤذون بذلك جلساءهم ويكونون بعملهم أعظم عار على السلطنة والاسلام فليت ادارة السكة تحظر الشراب في المركبات والمحطات على ركابها وعمالها مباشرة وتغرم من يجرأ على خرق حرمة شريعة الاسلام وقانون المدنية الحديثة غرامة ثقيلة تزجر كل مقترف لهذه الكبيرة فمن كان من عمال الحكومة الا من

عصم الله من يفسدون أخلاق الرعية بما يمدونهم إليه من احتساء كؤوس الراح في المديريات والأقضية والألوية والولايات فما أحرى الحكومة أن تكبح مفاسدهم على الأقل من فساد البلد الطيب بحمية الإنسانية والإسلام.

بعض أحوال الكرك

قال غرس الدين (١) الظاهري وأما المملكة الكركية فليست هي من الشام وهي مملكة بمفردها وتسمى مآب وهي مدينة حصينة معقل من معاقل الإسلام بها قلعة ليس لها نظير في الإسلام ولا في الكفر تسمى حصن الغراب لم تكن فتحت عنوة قط وإنما فتحها المرحوم صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد فتح القدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت بيد البرنس أرناط وكان يتعرض إلى حجاج بيت الله الحرام.

وقال إن الشوبك كانت مدة بيد الإفرنج وهي مضافة الى الكرك وحصينة أيضا ومسيرة مملكة الكرك من العلا الى زيزة مقدار عشرين يوما سير الإبل وهي بلاد عديدة بها قرى كثيرة ومعاملات والمسالك اليها صعب في منعطفات قليلة الآلات حتى أنه إذا وقف أحد على درب من دروبها منع مائة فارس اهـ.

بلدان في لواء الكرك خلا مضاربهما هما قصبة الكرك وقصبة السلط والأولى كما توهمنا أهمهما وأنا هنا التي فيه وأيامها أعرنا سمعنا ما به من وصفها وهذا من جملة الأسباب التي تدعو أهالي البلقاء أن يطلبوا الى الحكومة جعل السلط في التقسيمات الإدارية مركز لواء يضم أراضي بني حسن من قضاء عجلون وعمل جبل البلقاء اليه وجعل مادبا قضاء وعمان قضاء والزرقاء قضاء وبذلك يتوفر على أهل الناحية من لواء الكرك العناء الشديد الذي يلاقونه بشد الرحال الى حاضرة اللواء كلما عرض لهم عارض فقد علمنا أن أكثر الناس يستنكفون من أداء الشهادة إذا طلبوا اليها من السلط الى الكرك مثلا ويكرهونها ويتحملون الإثم في ذلك لأن الشاهد

---

(١) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك.

يستحيل عليه ان يضيع بضعة أيام في الذهاب والاياب ويتكلف مالا طائلا نفقة في السكة الحديدية وأجرة دواب

فاذا اختار ابن السلط مثلا ان يذهب الى الكرك يضطر اما الى المسير ثلاثة أو أربعة أيام على الدواب ذهابا ومثلها ايابا واما ان يركب دابة ٣٥ كيلو مترا من السلط الى عمان ومن هذه وهي في الكيلومتر ٢٢٢ يركب القطار الحجازي الى القطرانة وهي في الكيلومتر ٣٢٦ ومنها يركب دابة الى الكرك مسيرة ست ساعات وهكذا يتكلف من له عمل طفيف في مركز اللواء الى مال جزيل ووقت طويل .

واشكى من ذلك اهل معان وهي في الكيلومتر ٤٨٩ بل اهل تبوك وهي في الكيلومتر ٦٩٢ بل اهل مدائن صالح وهي في الكيلومتر ٩٥٥ اذا اضطر أهلها الى قصد الكرك يقطعون هذه المسافات في السكة الحديدية أو الدواب وكلاهما شاق مجحف بالوقت والمال فتقسيم لواء الكرك الاداري مشوش مضطرب وما احراه ان يقسم لوائين احدهما مركزه السلط كما تقدم والثاني يجعل مركزه في معان أو اذرح وهي مدينة متوسطة من اللواء ولكنها اليوم خربة لاساكن فيها وكانت من المدن العامرة قبل الاسلام وبعده حتى ان أهلها صالحوا في غزوة تبوك على الجزية فبلغت مائة دينار في كل رجب وذكر المقدسي انها مدينة متطرفة حجازية شامية وعندهم بردة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعهده وهو مكتوب في ادم وبذلك يستدل انها كانت عامرة في القرن الخامس الهجري بل عامرة الى عهد قريب وكانت هي ومآب مدينتي الشراة

وأرض الشراة من الشوبك الى رأس النقب كما يحددها الاهلون اليوم أي مسيرة يوم طولا وعرضها ساعتان وهي الارض المطوحة مؤلفة من تلعات وأودية وفيها عيون عزيزة لاتقل عن أربعين عينا لا ينتفع بأكثرها وقسم منها الآن في عمل قضاء الطفيلة والآخر في قضاء معان وعلى جنوب الشراة بلاد طيء أو جبال طيء وهي الحد الجنوبي لسورية كما عرفها العرب قبل حاتم الطائي وقد أشارت

[illegible] الحارث بن عمرو المزني ويقال إنها له (١)

ألا أني قد هاجني الليلة الذكر   وما ذاك من حب النساء ولا الأشر
ولكنني مما أصاب عشيرتي   وقومي بقران حواليهم الصبر
ليالي نمشي بين جيش ومسطح   تشاوى لنا من كل سائمة جزر
فواليت خير الناس حيا وميتا   يقول لنا خيرا ويمضي الذي ائتمر
فإن تكن [illegible] فإنا   على وقعات الدهر من قبلها صبر
سقى [illegible] الناس معاودة   جنوب الشراة من مآب إلى زغر
بلاد امرئ لا يعرف الذم بيته   له المشرب الصافي وليس له الكدر

وفي الوادي عين ماء عزيزة فوق الأرض وأنه يمكن تسييرها كلها وقاية لحاجة الأهالي وهم قليل وهي على أربع ساعات إلى الغرب الشمالي من معان وعلى ثلاث ساعات من وادي موسى والقلعة [illegible] موجودة لحاجة الأهالي بالماء فتكون مدينة تامة الأدوات في بضعة أسابيع وفيها اليوم [illegible]

وربما يستحسن بعضهم أن تجعل مركز السكة في أذرح وهي خراب ويترك الكرك وهي الشهيرة [illegible] من المركز [illegible] حيث يحل من أطرافه لتكون عاصمة كبرى فضلا عن مركز [illegible] ولكن [illegible] الحكومات يجب أن تكون في نقطة متوسطة والكرك منحرفة عن طريق السكة الحديدية ومنحرفة عن نقطة دائرة اللواء [illegible] لا [illegible] لها [illegible] على [illegible] من الكرك على [illegible] ٦٧٠ كيلومترا [illegible] الأحسن أن تكون الطفيلة [illegible] ومعان صالح كما [illegible] برأسه [illegible] المتصرفية البلدية [illegible] أهلها على [illegible]

وإن بعضهم يعترض [illegible] أن [illegible] في هذه الأصقاع [illegible]

---

(١) في ديوانه المطبوع بلندن سنة ١٨٧٢

خالية من السكان ولا ماء فيها ولا كلأ ولكن الحكومة الصالحة تجذب اليها الانفس كما تجذب الاموال وناهيك بان عشيرة الفقرا وهي لا تقل عن ٨٠٠ بيت تتنقل بين تبوك ومدائن صالح تسكن في مدة قليلة وذلك لان الاراضي موجودة بكثرة والمياه اذا حفر في الارض لاجلها اربعة امتار تنبط حالا والبقاع التي تزرع مستعدة كل الاستعداد لزراعة البرتقال والنخل فاذا أخذت الحكومة بايديهم فذاقوا لذة الكسب يعدلون عن عيش الغزو الذي يسوقهم اليه فقرهم ولا يلبثون ان يصبحوا كسائر العرب الساكنة يدفعون الضرائب ويخدمون في الجندية مثل عامة العثمانيين

لا نعتقد ان الكرك يتراجع عمرانها اذا نقل منها مركز اللواء لانه بعد هدمها من الفتنة الاخيرة قد خربت بحيث لم تعد صالحة لسكنى أهلها ولا موظفيها الا بعد بضع سنين على ان الحكومة قد جعلتها نحو عشرين سنة مركزا لها ولم ترمم قلعتها ولا أتمت مكتبها الكبير ولا مسجدها الجامع فانت الآن اذا دخلتها تنقبض نفسك من حيث ترى الخراب يحيقه من كل جانب فتشاهد وعيناك تدمع خرابا في المنزل وخرابا في النبات وخرابا في الجماد ومثل هذا البلد يعمر بالعلم والعرفان أكثر من عمرانه بالسيف والسنان.

تمتاز القصبة من الكرك على جمال في طبيعتها وهي تطل من جهاتها الاربع على مناظر لطيفة ومنها البحر الميت ووادي الاردن الى أعالي جبال أريحا وذلك لانها كانت في معظم ادوارها التاريخية حاكمة متحكمة واشتهر اهلها بحب الغارة على عهد الاسرائيليين والموآبيين وحاربها شاول وداود وقاومت قلعتها جيوشهم وملك اليهودية فرجعوا عنها مدحورين واصبحت للموآبيين في القرن الثاني قبل المسيح واصبحت الكرك مفتاح تلك البلاد على عهد الصليبيين واستولى عليها رنو دي شاتيون الذي يسميه مؤرخو العرب البرنس ارناط وذلك لانها مسيطرة على طرق قوافل مصر وبلاد العرب القادمة الى سورية ولذلك حاربها صلاح الدين يوسف بن ايوب حربا عوانا وقاوم الصليبيون فيها وحصنوها ومازال ملوك مصر والشام يحاصرونها ويقتلون اهلها فيها وآخر اعمال الكركيين دحرهم عسكر ابراهيم باشا المصري

ثم قضيتم الاخيرة المشؤومة ويبلغ المسيحيون في الكرك نحو أربعة آلاف نسمة اكثرهم اروم وفيهم لاتين وقليل من البروتستانت وفيها مدارس حقيرة للذكور والاناث ولئن كان المسيحيون اليوم على مستوى جيرانهم المسلمين وكانوا نحو ذلك أما قبل الحوادث الاخيرة أرقى بقليل في المدنية فسيكون مستقبل هذه البلاد لهم وناهيك بأن تلامذة المكتب الرشدي اليوم وهم زهاء ثلاثين تلميذًا كلهم من أولاد المسيحيين واذا كان فيهم التلميذ الواحد أو الاثنان من ابناء المسلمين فيكون كسلاً غير مواظب هذا في مدارس الحكومة فما بالك في المدارس الطائفية المسيحية وتجارة البلد بأيدي أناس من أهل دمشق والخليل ولكنهم فقدوا أموالهم في الفتنة ولم يعوضوا عنها حتى الآن سوى ستة في المئة مما فقد لهم

ولم تبق الآثار من العاديات القديمة ما يذكر في هذه المدينة الّا الانقاض دائرة وجميع هذه الديار كانت عامرة وهي اليوم مأوى الغراب والبوم وناهيك بأن الحصون الواقعة على ساعتين من الكرك كانت بحسب ما رأينا من انقاض الرجوم الصحيحة من المدن المهمة فاصبحت اليوم والحكومة تسكن فيها طائفة من المهاجرين وتعمر لهم دورًا الالبانيون الذين رحلوا عنها اذ رأوا أنفسهم في خطر بسبب الماء والهواء وتركوا منازلهم خاوية ونزلتهم الحكومة في بعض انحاء البلقاء وما ندري كيف انقلبت طبيعة تلك البلاد الخصبة قديمًا حتى أصبحت المدينة فيها لا تصلح لأن تكون مزرعة حقيرة لفساد هوائها ومائها فسبحان القابض الباسط المعمر المدمر

العربية الصخرية

طريق الكرك من القطرانة وطريق وادي موسى من معان يخترقان تراب كلسي مزروع صالح للاستعداد فيه للزراعة اليوم ولذلك تلك اذا توسعت تلك السهول وعرضها نحو ثلاث ساعات من الخط الحديدي ثلاثة في غرب عن اذا انتصف الطريق تتراءى لك بعض عيون وزروع والمسافة بين معان ووادي موسى سبع ساعات تاركًا كما هي بين القطرانة والكرك. ووادي موسى هو

قرية الجي وعلى نحو ساعة منه بترا أو العربية الصخرية كما يسميها الافرنج ويسميها العرب سلعا والسلع الشقوق في الجبال والغالب ان سلعا قسم من العربية الصخرية وهي عبارة عن جبال (اذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها) وحدثنا من زار خرائب الحجر أو مدائن صالح انهما دون خرائب بترا بمكانتها .

وكان لبترا هذه أيام عز طويل على عهد الادوميين والنبطيين العرب وقياصرة الرومان والمكابيين وامتد حكمها الى دمشق وكان بيدها زمام التجارة مدة قرون في هذا الشرق الادنى ولم تنحط الا بارتقاء مملكة فارس وانبساط ظل سلطان تدمر ولما جاء الاسلام كانت خرائب كما هي اليوم والغالب ان بقايا مجدها أتت عليها الزلازل فدكتها كما دكت غيرها من المصانع والآثار

اذا أشرف الراكب على قرية وادي موسى يرى روح النعيم فيها خصوصا ويكون قد قطع ساعات في سهل أجرد أمرد ليس فيه من الاشجار الا الزعرور ولا من الغلات الا القليل من الحنطة والشعير لكن في وادي موسى حدائق بديعة تسقى من العيون الدافقة عليها من الهضاب المجاورة حتى تخال نفسك لما تراه من بهجة خضرة الشفق في [illegible] زاهر فاذا قصدت الى عاصمة بترا وتوغلت في السيك أي دخلت بين الجبلين المتناوحين العاليين وكل قطعة منها تبلغ أبعادها من الامتار المربعة طولها من ٣٠ الى ٥٠ متراً وأنت تسير في طريق لا يقل عرضه عن خمسة أذرع ولا يزيد عن عشرة ليس فيه الا الاحجار والحصا أو مسايل ماء لا ينبت فيها الا الرتم والطرفاء تشاهد في الاعالي النواويس والقبور والمسلات محفورة في الصخر ويتفرع الطريق مسيرة نحو ثلث ساعة وينقسم قسمين قسم ذات اليمين وفيه تتمة المدينة والقسم الآخر جبال طبيعية تمتد الى بعيد وتتصل بجبل هارون من أعالي المناظر المشرفة على تلك الاودية والجبال

وهنا تمثل أمامك قصر فخم يسميه الناس خزنة فرعون والغالب انه كان معبداً لايزيس أنشئ على عهد الامبراطور ادريانوس الذي زار هذه المدينة

سنة ١٣١ وفي واجهة هذا القصر رواق يتقدمه بضعة أعمدة كبرى وفوقها ثلاثة أعمدة أصغر منها ونقوش وتيجان وربما كان يصعد الى العلية بسلم من الصخر بدليل ما يشاهد في الحائط من أثر الادراج واذا دخلت هذا الرواق ترى على اليمين قاعة كبرى تلم أنظارها وتموج كأنها خرجت الآن من يد نقاشها وفي الجهة اليسرى قاعة مثلها وفي الصدر القاعة الكبرى أو الردهة للدهشة وكل هذه الميدان والسواري والتيجان والقاعات والرواق محفور في الصخر أو في هذا الجبل قطعة واحدة فكأن الحجر كان بيد صانعي هذا الهيكل وغيره من الهياكل والنواويس والقصور كالطين يشكلون منه ما يشاؤون والذي يزيد في الدهشة ان الحجر أحمر في هذه الجبال أو من نوع الحجر الرملي ولكنه بمتانته كالصخر الاصم ترى عليه ذلك الجمال من موجة حمراء الى أخرى زرقاء الى شهباء الى خضراء كما فسبحان من أنشأ هذا الصخر هنا منقطع النظير يروق بانه يد صناع تتفنن في تنظيمه وغيره بما فاق به البتاء في سائر عاديات سورية فان كانت قلعة بعلبك تنم عن ذوق سليم وعلم واسع في النقش وجر الاثقال فان هذه العاديات الخالدة الاثرية تنادي بلسان حالها هذه عظمة الدنيا الى جانب عظمة الانسان .

وترى الى جانب الآثار قناطر الماء في جانب السيق الذي يشبه من بعض جهاته الفج الواقع في شمالي مدخل قرية معلولا في جبال سنير (قلمون) ويدل الشق على اقامة استحجرت مع الصخر حتى كأنها منه وهناك على بضع دقائق من خزنة فرعون كان في الغالب مخزن ماء هذه العاصمة ورسما دعي مقربة من مخزن الماء وهو منقور في الجبل أيضاً ملعب التمثيل نقر في الصخر وله ٣٣ مشى حول الكرسي ويسع ٣٠٠٠ نسمة وفي هذا الجوار أضرحة النواويس والمقابر وبعد ذلك تجي قصر البنات وهو مبني من الحجر رصفت حجارته كما ترصف الابنية الصحيحة من قلاع وابراج وأسوار ونحوها والغالب انه كان للمتأخرين شبه دار الحكومة وهو عامر وبلغ عهد الاسلام وهناك ولا سيما في خربة النصارى آثار بعض أديار يدل اسمها ورسمها على انها من عمل المسيحيين عندما كانت لهم حكومة هنا على عهد الرومان

واليونان فلعل مقربة من تلك الجبال الشوامخ والمنعرجات والأدوية بعض نواويس وآثار ولكنها دون آثار بترا في المكانة وفي جبل الصبر ملعب أو صورة تمثل قتالا بين سفن حربية

ويقول بعض علماء الآثار من الالمان (١) ان معظم القبور التي حفرت على مثال قبور الحجر يرد عهدها الى الملك اريتاس الرابع أحد ملوك بترا أي ٩ و٣٠ سنة قبل المسيح وبعده ولبترا في وادي موسى أعمدة من قبل الحكم الروماني عليها ولى ما يشاهد من صور أبي الهول وايزيس تدوس الهلال يدل على ان هذه البلاد تأثرت بالمدنية المصرية والتمثالان الموجودان في القصر تمثالا ربي النبطيين اللات ودوذارس وانها كانت مركزاً لعبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون على الأقل وان المدنية اليونانية دخلت وادي موسى على عهد البطالسة فاختلط العنصران المصري والسوري وظل القول الفصل فيها للمدنية اليونانية الى عهد اريتاس الرابع وفي بترا ٨٥١ مصنعاً من القبور والمعابد والمذابح

وبالجملة فان من أراد ان يتوسع في درس هذه المدنية الازلية وجب عليه ان يصرف الليالي في خرائبها كما يفعل بعض سياح الافرنج وعلماء الآثار منهم فيقصدونها يصرفون فيها أيامهم ويصرفون في امتاع النظر بها الاسبوع والاسبوعين وعلى من يحب التوسع في البحث ان يستعين بما كتبه علماء الآثار من المصنفات في وصف هذه المصانع بالانكليزية والالمانية والافرنسية وغيرها من لغات المدنية الحديثة

في جوار هذه العاديات المدهشة المتينة قرية راقية جدا ينزلها نحو الف نسمة من العرب يأوون اياما قلائل الى الجي او وادي موسى لتمهيد زروعهم والسقي ثم ينتقلون في الصيف والشتاء في جبال الشراة على ساعتين أو ثلاث أو أربع من بلدهم في خيام الشعر وهم فرقتان تؤلف الاولى من عرب الشرور وبني عطا والثانية من الهلالات والصيدية والعلاوية ويغلب عليهم الفقر ومنهم من يزدرع في أراضي الحويطات والعمارات على مقربة من بلدهم بالخمس وليس فيهم من يقرأ ولا من يكتب وفي وادي موسى

---

(١) المقتبس م ٦ ص ٨٨

مدير عين حديثا يتبع قضاء معان كما ان في الشوبك مديراً . ويلبس أهل وادي موسى الكوفية والعقال ويسمونه المرير أي المفتول والعباءة والقمباز ولا يلبسون سراويل وفي أرجلهم نعال يصنعونه من جلد البعير [illegible] منها باسم الرحل تلحق في [illegible] مثل قطع [illegible] السراويل وقطع الهدوم الثياب العتيقة وقطع [illegible] الأراضي الخصبة و[illegible] وغير ذلك . ويعنون كثيراً بتربية البقر والغنم والمعز ولا الإبل عندهم مثل [illegible]

وما يشكوه أهل معان يشكو منه أهل وادي موسى . يشكون من ان الأراضي للباطن غير ممسوحة بالسجلات ولا [illegible] والمعاملات تجري بالكتابة الى حين عقده لا تسجل عموماً في سجلات الحكومة ولا تقع الا ما يصيبها من الاموال الاميرية وهي رسالة تضرب في المشاع الى نحو [illegible] واحد من عشر ولا تنوء على زراعة الارض كلها واذا قتل البدوي أحد أهل المدن فلا يجري عليه شيء . واذا قتل الفلاح من أهل معان ووادي موسى رجلاً من أولئك البدو عاقبته الحكومة [illegible] فكأن الحكومة لا [illegible] الا [illegible] حقوق [illegible] . سألنا أحد كبار شيوخ وادي موسى هل زرت الفيحاء مدينة دمشق في حياتك فأجاب اني لم أزرها أنا ولا أحد من أهل بلدي وانى لي بزيارتها والطريق عشرة أيام (١) [illegible] الفلاة وفي السكة الحديدية الحجازية الى [illegible] أمثالنا [illegible] [illegible] .

ويعتقد كثير من أهل البلاد انها عرفت من السيك أو من الصدفين أي جانبي الجبلين وفارقت تلك الطرق والظلال تقصد الى عين موسى صعداً في هضاب [illegible] وأطللت على تلك [illegible] التي يشتمل على أعلى جبل من [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] أرادت الدولة تشرف من [illegible] على أراضي واسعة جدا [illegible] من [illegible] وهي وادي العربة طوله ثلاثة أيام الى الغرب وعرضه الى الشمال أربعة من العقبة الى [illegible] وفي تربته [illegible] وأشجار ورمال وأملاح وينابيع قليلة والقرب منها بعض الخضرة كما تجدها

وهناك بعض الأشجار البرية ويقصد البدو هذا الوادي في الشتاء لأنه غور يرعون فيه مواشيهم كما يقصد أهالي الطفيلة والكرك والسلط ما جاورهم من الأغوار إلى الغرب من ديارهم ويقصدون جهات الشرق في الربيع ويتوسطون في الشتاء والصيف

هذا أنموذج من عيش أهل الشعر والمدر من البوادي ممن تشهد خيامهم السوداء كما قال ابن معتوق في وصفها

قطع من الليل البهيم على الثرى … سقطت وفيها أنجم الجوزاء

والتي قالت فيها الشاعرة الأعرابية يوم زوجت في دمشق واسكنت القصور والدور من الحجر والطين

لبيت تخفق الأرواح فيه … أحب إلي من قصر منيف

أو كما قال الشاعر

الحسن يظهر في شيئين رونقه … بيت من الشعر أو بيت من الشعر

ولقد أحببنا أن [illegible] الأولى مررنا ليلة في أرض البلقاء على شيخ من عرب الشرق اسمه محمد ابراهيم [illegible] في بير البيطار على محمد أبي الفرج شيخ بني عطا وحمدان النزلان على مقربة من وادي موسى وكنا قبلها في الزيزاء عند [illegible] بن مطلق شيخ مشايخ بني صخر ورأينا العيش البدوي على اختلاف طبقاته ديموقراطيه واستقراطيه وكنا في العراء تخفق علينا الرياح وخرجنا من عند السادات بعد ما [illegible] من كأس شربنا عشرات فلما لم تحصل كفايتنا من القهوة وأكلنا الحريرة عجنوها بالخبز الرائب والسمن عليه رقاق قطعوها قطع اللحم والدهن بدون ملعقة ولا شوكة ولا سكين ولا صحفة نظيفة ولا منديل ولا [illegible] وما من [illegible] وحدثونا واستشرفنا بعضهم لنصرح لهم أي العيشتين أفضل لهم البداوة أم الحضارة فقلنا إن الأمر بالنظر لما نشأتم عليه أقرب إلى بداوتكم واقتربوا من المدنية ما يسمح لكم عيشكم ولكن إياكم أن تتغافلوا عن تعليم أولادكم ليشبوا أعمدة مدنية أكثر من آبائكم وعندها إذا أحبوا أن ينقطعوا عن عيش الخلاء يقدرون على ذلك .

إني أخاف عليكم أيها العرب إذا عاشرتم الحضر أن [illegible] من عشرتهم أن تتعلموا

المكارم العربية ويختلط عليكم أمركم وتضيعون حضارتكم البسيطة الى ما ليس منه حضارتنا من القلق والتكالب والزور والخديعة ولولا الغارات لآثرت أن أعيش في هذه الغابات بين اليونانيين ولو أشهرا معدودة من السنة «ينبغ»

مصر والمملكة الاسلامية

العالم الجغرافي العربي

من أمهات كتب الجغرافيا العربية القديمة التي أحياها الطبع على يد أحد أئمة المشرقيات في الغرب وطبعتها مطبعة بريل في ليدن من بلاد هولاندة طبعة ثانية سنة ١٩٠٦ كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري ذكر فيه الأقاليم الاسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والأنهار ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة وعناصر العقاقير والآلات ومعادن الحمل والتجارات واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنهم وألوانهم ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم ونقودهم وصروفهم وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وما يحمل من عندهم واليهم وذكر مواضع الأخطار في المفازات وعدد المنازل في المسافات وذكر السباخ والصلاب والرمال والتلال والسهول والجبال والحواشي والسواحل (٢) والسمين منها والرقاق ومعادن السعة والخصب ومواضع الضيق والجدب وذكر المشاهد والمراصد والخصائص والرسوم والممالك والحدود والصرود والجروم والمخاليف والطساسيج والتخوم والصنائع والعلوم والملاحن والمناحر والمناسك والمشاعر »

قال: «وعلمت انه باب لا بد منه للمسافرين والتجار ولا غنى عنه للصالحين والأخيار. اذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء وتطلبه القضاة والفقهاء وتحبه العامة والرؤساء. وينتفع به كل مسافر ويحظى به كل تاجر. ثم لم أجمعه الا بعد جولاني في

في البلدان ودخولي أقاليم الإسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي الى الأدباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل أحد والتفطن في هذه الأسباب بفهم قوي حتى عرفتها ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها ودوراني على التخوم حتى حررتها وتنقلي الى الأجناد حتى عرفتها وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها وتفطني في الألسن والألوان حتى رتبتها وتدبري في الكور حتى فصلتها وبحثي عن الأخرجة حتى أحصيتها مع ذوق الهواء ووزن الماء وشدة العناء وبذل المال وطلب الحلال وترك المعصية ولزوم النصح للمسلمين بالحسبة والصبر على الذل والغربة والمراقبة لله والخشية بعدما رغبت نفسي في الأجر وطمعها في حسن الذكر وخوفها من الإثم وتجنب الكذب والطغيان وتحرزت بالحجج من الطعان ولم أودعه المجاز والمحال ولا سمعت الا قول الثقات من الرجال »

وقال في موضع آخر في ذكر الأسباب التي بنينا في تأليف كتابه ويفهم منها مبلغ تعبه في وضعه ترجمته لنفسه على أسلوب هو الأدب بعينه والإبداع الغريب قال :

اعلم أن جماعة من أهل العلم ومن الوزراء قد صنفوا في هذا الباب وإن كانت مختلة غير أن أكثرها بل كلها سماع لهم ونحن فلم يبق إقليم الا وقد دخلناه وأقل سبب الا وقد عرفناه وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر في الغيب فانتظم كتابنا هذا ثلاثة أقسام أحدها ما عايناه والثاني ما سمعناه من الثقات والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة في هذا الباب وفي غيره وما بقيت خزانة ملك الا وقد لزمتها ولا تصانيف فرقة الا وقد تصفحتها ولا مذاهب قوم الا وقد عرفتها ولا أهل زهد الا وقد خالطتهم ولا مذكرو بلد الا وقد شهدتهم حتى استقام لي ما ابتغيه في هذا الباب

وقد سميت ستة وثلاثين اسما دعيت وخوطبت بها مثل مقدسي وفلسطيني ومصري

ومغربي وخراساني وسلمي ومقرئ وفقيه وصوفي وولي وعابد وزاهد وسياح ووراق ومجلد وتاجر ومذكر وإمام ومؤذن وخطيب وغريب وعراقي وبغدادي وشامي وحنفي ومتأدب وكري ومتفقه ومتعلم وفرائضي وأستاذ ودانشومند وشيخ ونشاسته وراكب ورسول وذلك لاختلاف البلدان التي حللتها وكثرة المواضع التي دخلتها.

ثم إنه لم يبق شيء مما يلحق المسافرين إلا وقد أخذت منه نصيباً غير الكدية وركوب الكبيرة فقد تفقهت وتأدبت وتزهدت وتعبدت وفقهت وأدبت وخطبت على المنابر وأذنت على المنائر وأممت في المساجد وذكرت في الجوامع واختلفت إلى المدارس ودعوت في المحافل وتكلمت في المجالس وأكلت مع الصوفية الهرائس ومع الخانقائية الثرائد ومع النواتي العصائد وطردت في الليالي من المساجد وسحت في البراري وتهت في الصحاري وصدقت في الورع زماناً وأكلت الحرام عياناً وصحبت عباد جبل لبنان وخالطت حيناً السلطان وملكت العبيد وحملت على رأسي بالزبيل وأشرفت مراراً على الغرق وقطع على قوافلنا الطرق وخدمت القضاة والكبراء وخاطبت السلاطين والوزراء وصاحبت في الطرق الفساق وبعت البضائع في الأسواق وسجنت في الحبوس وأخذت على أني جاسوس وعاينت حرب الروم في الشواني وضرب النواقيس في الليالي وجلدت المصاحف بالكرى واشتريت الماء بالغلاء وركبت الكنائس (١) والخيول ومشيت في السمائم والثلوج ونزلت في عرصة الملوك بين الأجلة وسكنت بين الجهال في محلة الحاكة وكم نلت العز والرفعة ودبر في قتلي غير مرة وحججت وجاورت وغزوت ورابطت وشربت بمكة من السقاية السويق وأكلت الخبز والجلبان بالسيق ومن ضيافة ابراهيم الخليل وجميز عسقلان السبيل وكسيت خلع الملوك وأمروا لي بالصلات وعريت وافتقرت مرات وكاتبني السادات ووبخني الأشراف وعرضت علي الأوقاف وخضعت للأخلاف ورميت بالبدع واتهمت بالطمع وأقامني الأمراء والقضاة أميناً ودخلت في الوصايا وجعلت وكيلاً وامتحنت الطرارين ورأيت دول العيارين واتبعني الأرذلون وعاندني الحاسدون وسعي بي إلى السلاطين ودخلت حمامات

طبرية والقلاع القادسية ورأيت يوم الزيارة وعيد بربارة وبئر بضاعة (١) وقصر يعقوب وضياعه ومثل هذا كثير ذكرنا هذا القدر ليعلم الناظر في كتابنا انا لم نصنفه جزافا ولا رتبناه مجازا ويميزه من غيره فكم بين من قاسى هذه الأسباب وبين من صنف كتابه في الرفاهية ووضعه على السماع

ولقد ذهب لي في هذه الأسفار فوق عشرة آلاف درهم سوى ما دخل علي من التقصير في أمر الشريعة ولم يبق رخصة مذهب الا وقد استعملتها قد مسحت على القدمين وصليت بمدهامتان ونفرت قبل الزوال وصليت الفريضة على الدواب ومع نجاسة فاحشة على الثياب وترك التسبيح في الركوع والسجود وسجود السهو قبل التسليم وجمعت بين الصلوات وقصرت لاني سفر القلتين غير أني لم أخرج عن قول الفقهاء الائمة وأخرت صلاة عن وقتها وما سرت في جادة وبيني وبين مدينة عشرة فراسخ فما دونها الا فارقت القافلة وانفتلت اليها لانظرها وربما اكتريت رجالا يصحبوني وجعلت مسيري في الليل لارجع الى رفقائي مع اضاعة المال والهم

ولقد أجاد المقدسي في تأليفه ما شاء وشاءت الاجادة ومن يتعب في جمع مواد مصنفه مثل ما تعب يجيء منه آية يستفاد منها على الدهر فلم يترك شاردة في الجغرافية الطبيعية مما يتعلق بطبائع الأرض ومياهها وجبالها وبحيراتها وسهولها الا وذكره على أحسن صورة عرفها العلم لعهده وكذلك لم يدع فائدة في علم خصائص الشعوب والجغرافيا السياسية والاقتصادية الا ألم به الماما لاستقصاء أكثر من علماء عصره وهو القرن الرابع. وعلى كثرة ما أتى من المواد في كتابه الذي لا يتجاوز الخمسمائة صفحة من هذه الطبعة فانك تجد كل فائدة قد ذكرت في موضعها بتنسيق غريب أدهش من نظر فيه من علماء المشرقيات في الغرب فأيقنوا بما رأوه ان العقل الفذ غير محصور بأمة معينة ولا بزمن خاص

---

(١) بئر بضاعة بالضم وقد تكسر كما في التاج بئر معروفة بالمدينة كان يطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن قطر رأسها ستة أذرع.

ولقد كنت نويت وأني لمطلع ما أورده في كتاب أحسن التقاسيم في وصف بلاد الشام وفلسطين أن هذا الفصل أجل فصول هذا السفر لأن المؤلف فضلا عن حسن معرفته بلاده ووصفه [illegible] من الآفات والخيرات والشكوى من [illegible] [illegible] فيه [illegible] في وصف جميع بلاد الإسلام واعتمد على الطالع معرفته منها واليك الآن ما قاله في إقليم مصر

هذا هو الإقليم الذي افتخر به فرعون على الورى، وقام على يد يوسف بأهل الدنيا، به آثار الأنبياء والتيه وطور سيناء ومشاهد يوسف وعجائب موسى وإليه هاجرت مريم بعيسى، وقد كرر الله في القرآن ذكره، وأظهر للخلق فضله، أحد جناحي الدنيا، ومفاخره فلا تحصى، مصره قبة الإسلام، ونهره أجل الأنهار، وبخيراته تعمر الحجاز، وبأهله يبهج موسم الحاج، وبره يعم الشرق والغرب، قد وضعه الله بين البحرين، وأعلى له ذكرا في الخافقين، حسبك أن الشام على جلالتها رستاقه، والحجاز مع أهلها عياله، وقيل إنه هو الربوة، ونهره يجري عسلا في الجنة، قد رفع فيه حضرة أمير المؤمنين، ونسخ بغداد إلى يوم الدين، وصار مصره أكبر مفاخر المسلمين، غير أن [illegible] سبع متوالية، والأعناب والأثمار غالية، [illegible] القبط بها [illegible]، وفي كل حين تحل بهم الداهية، وأول من سكنها مصر بن حام بن نوح عليه السلام، وهذه شجرته ومثاله.

وقد جعلنا إقليم مصر على سبع كور، ست منها عامرة وبها أيضا أعمال واسعة ذات ضياع جليلة، وقد سكتنا عن ذكر مدائن مصر لأن أكثر أهل السواد قبط ولا مدينة في [illegible] هذه الأعمال، فأولها من قبل الشام الجفار ثم الحوف ثم الريف ثم الإسكندرية ثم مقدونية ثم الصعيد والسابعة الواحات. فأما الجفار فقصبتها الفرما ومن مدنها البقارة الورادة العريش. وأما الحوف فقصبتها بلبيس ومن مدنها مشتول [illegible] فاقوس [illegible] [illegible] وأما الريف فقصبتها العباسية ومن مدنها شبرو دمنهور [illegible] [illegible] دمرة [illegible] [illegible] سمنود [illegible]

وأما الإسكندرية فهي القصبة أيضا ومن مدنها رشيد [illegible] ذات الحمام راس. وأما مقدونية فقصبتها الفسطاط وهو المصر ومن مدنها الجيزة [illegible] عين شمس. وأما الصعيد فقصبتها أسوان ومن مدنها [illegible] قوص إخميم [illegible] علاقي [illegible] الفيوم [illegible] وراء الحوف [illegible] في [illegible] فيهما تنيس ودمياط.

الفرما على ساحل بحر الروم وهى قصبة الجفار على فرسخ من البحر عامرة آهلة عليها حصن ولها أسواق حسنة وهى فى سبخة وماؤها مالح وحولها مصايد السلوى ومعدن الاسماك الجيدة و بها ابدال عدة وخيرات كثيرة وهى مجمع الطرق مذكورة خربة غير ان ماءها مالح وطريقها مزمن وهذه الكورة كلها رمال دهسة والمدن التى ذكرناها وسطها وفيها طرق وخيل وآبار وعلى كل بريد حانوت الا ان الريح ربما طمست الرمال فضلت الطريق والسير فيها صعب.

بلبيس قصبة الحوف كبيرة كثيرة القرى والمزارع عامرة بناؤهم من طين والمشتول كثيرة الطواحين ومنها يحمل أكثر ميرة الحجاز من الدقيق والكعك وأحصيت فى وقت من السنة فاذا هو يبلغ ثلاثة آلاف حمل جمل فى كل اسبوع كلها حبوب ودقيق . والقلزم بلد قديم على طرف بحر الصين يبس يابس لا ماء ولا كلأ ولا زرع ولا ضرع ولا حطب ولا شجر ولا عنب ولا ثمر يحمل اليهم الماء فى المراكب ومن موضع على بريد يسمى سويس على الجمال ماء آجن ردى ومن نظائرهم ميرة أهل القلزم من بلبيس وشربهم من سويس يأكلون لحم التيس ويهدون سقف البيت هى أحد كنف الدنيا ماء حمامهم زعاق وحشة ملولة والمسافة اليها صعبة غير ان مساجدها حسنة وبها قصور جليلة ومتاجر مفيدة هى خزانة مصر وفرضة الحجاز ومعونة الحاج واشترينا يوما بدرهم خبزا فاحتجنا له بدرهم حطبا وهذه الكورة غير طيبة ولا أرى فى ذكر بقية مدائنها فائدة .

العاسية هى قصبة الريف عامرة طيبة قديمة شربهم من النيل موضع الريف والخصب بناؤهم أفرح من بنيان مصر بها أضداد تحمل اليها وجامع حسن من الآجر رفعة سرية والحلة الكبيرة ذات جانبين اسم الجانب الآخر سندفا بكل جانب جامع وجامع الحلة وسطها وجامع ثالث على الشط لطيف وهذه أعمر و بها سوق زيت حسن والناس يذهبون و يجيئون فى الزواريق شبهتها بواسط ودميرة أيضا على الشط طويلة عامرة بها بطيخ نادر

الاسكندرية قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبدين شربهم من النيل يدخل عليهم أيام زيادته فى قناة فيملأ صهاريجهم وهى شامية الهواء والرسوم كثيرة الامطار جامعة الاضداد جليلة الرستاق جيدة الفواكه والاعناب طيبة نظيفة بناؤهم من الحجارة البحرية معدن الرخام و بها جامعان وعلى جبانيهم أبواب تغلق بالليل كيلا يعمد منها اللصوص وسائر المدن

عمرت جنات وقرى وأجباب خرنوب وزيتون ولوز ومزارع على النيل وثم يصب النيل في بحر الروم وهي مدينة ذي القرنين وفيها قصة عجيبة

الفسطاط هو مصر في كل قول لأنه قد جمع الدواوين وحوى أمير المؤمنين وفصل بين المغرب وديار العرب واتسع رقعته وكثر أنسه ونضر إقليمه واشتهر اسمه وجل قدره، فهو مصر مصر، وناسخ بغداد، ومفخر الإسلام، ومتجر الأنام وأجل من مدينة السلام، خزانة المغرب، ومطرح المشرق، وعامر الموسم ليس في الأمصار آهل منه، كثير الأجلة والمشايخ، عجيب المتاجر والخصائص، حسن الأسواق والمنازل إلى حمامات هي المنتهى، وقياسر لطيفة وبهاء، ليس في الإسلام أكبر مجالس من جامعه ولا أحسن تجملا من أهله ولا أكثر مراكب من ساحله، آهل من نيسابور، وأجل من البصرة، وأكبر من دمشق، به أطعمة لطيفة، وإدامات نظيفة، وحلاوات رخيصة كثير الموز والرطب، غزير البقول والحطب، خفيف الماء، صحيح الهواء، معدن العلماء، طيب الشتاء، أهله أهل سلامة وعافية، ومعروف كثير وصدقة، نغمتهم بالقرآن حسنة، ورغبتهم في الخير بينة، وحسن عبادتهم في الآفاق معروفة، قد استراحوا من أذى الأمطار، وأمنوا من عاقبة الأشرار، ينتقدون الخطيب والإمام، ولا يقدمون إلا طيبا وإن بذلوا الأموال، قاضيهم أبدا خطير، والمحتسب كالأمير، ولا ينفكون أبدا من نظر السلطان والوزير، ولولا عيوب له كثيرة ما كان له في الدنيا من نظير، وهو نحو ثلثي فرسخ طبقات بعضها فوق بعض.

وكانت جانبين الفسطاط والجزيرة إلا أن بعض الخلفاء من ولد العباس خلج على قطعة منها فسميت تلك القطعة الجزيرة لأنها بين العمود والخليج، وسمي خليج أمير المؤمنين منه شربهم، ودورهم أربع طبقات وخمس كالمنائر يدخل إليها الضياء من الوسط، وسمعت أنه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس، ولما جاء الحسن بن أحمد القرمطي خرج الناس إليه فرأيتهم مثل الجراد فهالني ذلك، وقلت: ما هذا؟ قيل هؤلاء نظارة مصر ومن لم يخرج أكثر، وكنت يوما أمشي على الساحل وأتعجب من كثرة المراكب الراسية والسائرة فقال لي رجل منهم: من أين أنت؟ قلت: من بيت المقدس، قال: بلد كبير، أعلمك يا سيدي أعزك الله أن على هذا الساحل وما قد أقلع منه إلى البلدان والقرى من المراكب ما لو ذهبت إلى بلدك لحملت أهلها وآلاتها وحجارتها وخشبها حتى يقال كان هاهنا مدينة، وسمعتهم يذكرون أنه يصلي قدام الإمام يوم الجمعة نحو عشرة آلاف رجل فلم أصدق حتى خرجت مع المتسرعة إلى سوق الطير فرأيت

الامر قريبا مما قالوا

وأبطأت يوما عن المشى الى الجمعة فالفيت الصفوف فى الاسواق على أكثر من ألف ذراع من الجامع ورأيت القياسير والمساجد والدكاكين حوله مملوءة من كل جانب من المصلين وهذا الجامع يسمى السفلانى من عمل عمرو بن العاص وفيه منبره حسن البناء فى حيطانه شيء من الفسيفساء على أعمدة رخام أكبر من جامع دمشق والازدحام فيه أكثر من الجوامع الستة قد التفت عليه الأسواق الا ان بينها وبينه من نحو القبلة دار الشط وخزائن وميضاة وهو أعمر موضع بمصر وزقاق القناديل عن يساره وما يدريك ما زقاق القناديل والجامع الفوقانى من بناء بنى طولون أكبر وأبهى من السفلانى على أساطين واسعة مصهرجة وسقوفه عالية فى وسطه قبة على عمل قبة زمزم فيها سقاية مشرف على فم الخليج ونحوه وله زيادات وخلفه دار حسنة ومنارته من حجر صغيرة درجها من خارج والحد بين أسفل وفوق مسجد عبد الله قد بنى من مساحة السكينة

ويطول الوصف بنعت أسواقه وجلالته غير انه أجل أمصار المسلمين وأكبر مفاخرهم وآهل بلدانهم ومع هذه الكثرة اشتريت به الخبز الحوارى ولا يخبزون غيره ثلاثين رطلا بدرهم والبيض ثمانية بدانق والموز والرطب رخيص يجيء أبدا اليه ثمرات الشام والمغرب وتسير الرفق اليه من العراق والمشرق ويقلع اليه مراكب الجزيرة والروم تجارته عجيبة ومعايشه مفيدة وأمواله كثيرة لا ترى أحلى من مائه ولا أوطأ من أهله ولا أحسن من بزه ولا أبرك من نهره الا انه ضيق المنازل كثير البراغيث عفن كرب البيوت قليل الفواكه مياه كدرة وآبار وضرة ودور قذرة وبق منتن وجرب مزمن ولحوم عزيزة وكلاب كثيرة وأيمان غليظة ورسوم وحشة أبدا على خوف من القحط وانقطاع النهر واشراف على الجلاء وترقب البلاء لا يتورع مشايخهم عن شرب الخمور ولا نساؤهم عن الفجور للمرأة زوجان وترى الشيخ سكران وفى الذهب حيران مع سمرة وفصح لسان

والجزيرة خفيفة الأهل الجامع والمقياس على طرفها عند الجسر مما يلى المصر وبها بساتين ونخيل ومتنزه أمير المؤمنين عند الخليج بموضع يسمى المختارة والجيزة مدينة خلف العمود كانت الطريق اليها من الجزيرة على جسر الى ان قطعه الفاطمى بها جامع وهى أعمر وأكبر من الجزيرة والجادة منها الى المغرب وفم الخليج العمود تحت الجزيرة عند المختارة .

والقاهرة مدينة بناها جوهر الفاطمي لما فتح مصر وقهر من فيها كبيرة حسنة بها جامع وهي مقر السلطان وخططها محصنة بأبواب ممددة على جادة الشام ولا يمكن أحد دخول الفسطاط إلا منها لأنها بين الجبل والنهر ومصلى العيد من ورائها والمقابر بين المصر والجبل. والجزيرة قد اختلت وخربت أغلبها وكانت المصر القديم وبها كان منزل فرعون وثم قصره ومسجد يعقوب ويوسف. وعين شمس مدينة على جادة الشام كثيرة المزارع بها مسجد النيل الأعظم لأنه جامعهم في السوق والمحلة مدينة على نهر الإسكندرية بها جامع لطيف وليس بها كثير أسواق غير أنها عامرة نزيهة الشطآن حسنة النهر يقابلها صندفا بها جامع عامر شبيهها بواسط إلا أنه ليس بينهما جسر يعبرون في المراكب. وحلوان مدينة من نحو الصعيد ذات مغاير ومقاطع وعجائب بها حمام من فوق حمام آخر وسائر المدن على عمود النيل وخليجه

وأسوان قصبة الصعيد على النيل عامرة كبيرة بإمارة طويلة ولها نخيل وكروم كثيرة وخيرات وتجارات وهي من الأمهات وأخميم مدينة كثيرة النخيل على بعض شعب النيل ذات كروم ومزارع منها كان ذو النون الزاهد وهذه الكورة أعلى أرض مصر وفيها مخرج النيل واليوم حصيلة مزارع الأرز الرائق والكتان الدون ولها قرى عريضة تسمى الجوهريات والعلاقي مدينة في آخر الكورة على طريق عيذاب وبلد الواحات قربها كانت كورة جليلة ذات أشجار ومزارع وإلى اليوم يوجد فيها صنوف الثمار والأنعام وهي قد توحشت متصلة بأرض السودان من طرف إقليم المغرب وبعض عمالتها منه

تنيس بين بحر الروم والنيل العذب فيها جزيرة ضيقة البيت كلها مدينة وأي مدينة هي بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب أسواق ظريفة وأسماك رخيصة وجنة مقصودة ونعم ظاهرة وساحل نزيه وجامع نفيس وقصور شاهقة ومدينة مفيدة رفقة إلا أنها في جزيرة ضيقة والبحر عليها محيطة مملوءة قذرة والماء في صهاريج مغلقة أكثر أهلها قبط والولدات تطرح إلى الطرق وبها يعمل الثياب والأردية الملونة وثم موضع قد نضد فيه موتى الكفار بعض على بعض ومقابر المسلمين وسط البلد.

ويطاف السائر في هذه البحيرة يوما وليلة وربما لقيك ماء حلو وأزقة ضيقة إلى مدينة أخرى وهي أطيب وأرحب وأوسع وأفسح وأخرب وأكثر فواكه

وأحسن بناء وأوسع ماء وأحذق صناعا وأرفع بناء وأنظف عملا وأجود حمامات . وأوثق جدارات وأقل آفات ومن تنيس عليها حصن من الحجارة كثيرة الأبواب وفيها رباطات كثيرة حربيات وعليها موسم كل سنة يقصدها المرابطون من كل جانب وبحر الروم منها على صيحة دور القبط على ساحله وثم يفيض النيل في البحر . وشطا قرية بين المدينتين على البحيرة يسكنها القبط واليها ينسب هذا البز وطحا قرية بالصعيد يعمل بها ثياب الصوف الرفيعة ومنها كان الفقيه الامام أبو جعفر الازدي ويصنع ببهنسة الستور والأنماط والكتان الرفيع مزارعه بوصير

جمل شؤون هذا الاقليم

هذا اقليم اذا أقبل فلا تسأل عن خصبه ورخصه واذا أجدب فنعوذ بالله من قحطه يقع سبع سنين حتى يأكلون الكلاب ويقع فيهم الوباء المبرح أشد حرا من سواحل الشام ويبرد في طوبه بردا شديدا به نخيل كثيرة وعامة ذمته نصارى يقال لهم القبط ويهود قليل . كثير المجذمين وبيت الحرب لانه سهل وأكثر أدمهم السمك . وعلى مذاهب أهل الشام غير ان أكثر فقهائهم مالكيون الا ترى انهم يصلون قدام الامام ويربون الكلاب

وأهل القصبة وأهل صندفة شيعة وسائر المذاهب بالفسطاط موجودة ظاهرة وثم محلة الكرامية وجلبة للمعتزلة والحنبلية والعمل اليوم على مذاهب الفاطمى التى ذكرناها في اقليم المغرب . والقراءات السبع فيه مستعملة غير ان قراءة ابن عامر أقلها ولما قرأت بها على أبي الطيب بن غلبون قال دع هذه القراءة فانها عتيقة قلت قيل لنا عليكم بالعتيق قال [illegible] بها . قرأت عليه لأبي عمرو فكان يأمرني بتفخيم الراء من مريم والتوراة والغالب عليهم والمختار عندهم قراءة نافع وسمعت شيخا في الجامع السفلاني يقول ما تقدم في هذا المحراب امام قط الا وهو يتفقه لمالك ويقرأ لنافع الا هذا يعني ابن الخياط قلت وما ذاك قال لا نجد أطيب منه وكان شفعويا أبو عمريا وأذان الاسلام أحسن نغمة منه لغتهم عربية غير انها ركيكة رخوة وذمتهم يتحدثون بالقبطية وهو بلد التجارات يرتفع منه أدم جيد صبور على الماء نحيف لين والبطائن الحمر والمقطعات . والمثلث هذا من المصر ومن الصعيد الارز والصوف والتمور والخل والزبيب ومن تنيس لا دمياط الثياب الملونة ومن دمياط القصب

ومن الفيوم الأرز وكتان دون ومن بوصير قوريدس الكتان الرفيع ومن الفرما الحيتان ومن مدنها الدقل والنال من الليف في غاية الجودة وقصب الداخلي والأرز والخيش والمناديل والحصر والحبوب والغلال ودهن الفجل والزيت ونحو ذلك

الخصائص . ولا نظير لأهل الإقليم في رجاحتهم وسخائهم وحلمهم وصدقهم وخشيتهم و[illegible] وكتابهم وجلودهم و[illegible] و[illegible] ولباسهم ودوابهم وشمعهم وقندهم ودهنهم ومصاحفهم وفرشهم و[illegible] وأشرابهم [illegible] و[illegible] و[illegible] ومراكبهم و[illegible] ومعاصرهم وبحرهم ونهرهم و[illegible] ودوابهم وبقرهم ونبيذهم وحسن [illegible] وقراءة [illegible] وحلوائهم [illegible] وفصاحتهم ومعاشهم وغلالهم وصدقاتهم كل ذلك في غاية الجودة

وقد اجتمع بها من خصائص الأقاليم اللبخ وهو ثمر على قدر الجوز الذي عليه قشر وفيه عفوصة يطلى به الزيت ويطرح في السكباج والموز وهو على مقدار الخيار عليه زغب رقيق تقشر قشرته ثم يؤكل بالحلاوة وحموضة [illegible] وهو أصغر من التين [illegible] حلو لين [illegible] وهو على قدر [illegible] [illegible] و[illegible] والنبق وهو على قدر الزعرور فيه نواة كبيرة وهو ثمرة شجرة السدر [illegible] [illegible] [illegible] وهي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] حتى [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible]

والنقود القديمة المثاقيل والدرهم وهو الربعة [illegible] دينار ويكتالون [illegible] بالراضي و[illegible] [illegible] النقود الاهادية وأهل القطع والمثاقيل والمكاييل الويبة وهي خمسة عشر منا والأردب ستة ويبات والرطل ثمان [illegible] والرسوم بجوامع هذا الإقليم إذا سلم الإمام كل يوم من صلاة الغداة وضع بين يديه مصحف يقرأ فيه جزءا ويجتمع الناس عليه كما يجتمع على المذكرين وهم الذين يعرفون به على [illegible] [illegible] الليل الأخير وله قصة أرويها وبين العشائين مجالسهم . [illegible] حلق الفقهاء وأئمة القراء وأهل الأدب والحكمة [illegible] مع جماعة من المقادسة فرتبنا جلسنا نتحدث فسمع النداء من الوجوه بدوروا وجوهكم إلى المجلس فنظر فإذا نحن بين مجلسين على هذا جميع المساجد وعددت فيه مائة وعشرة مجالس فإذا صلوا العشاء أقام البعض إلى الثلث [illegible] كثير سوقهم إنما يجيئوا من الجامع ولا أرى أحسن من مجالس القراء وبه مجلس للمتفقهين وهم [illegible] [illegible] على جوامعهم شرافات وقت الخطب من البصرة ويخلو أسواقهم أيام الجمع

فى ما يلبسون ثوبا غسيلا او ملاءة انتعلت ولا يكثرون أكل الخبز و يكثرون الاشارة فى الصلاة والنخع والمخاط فى المساجد و يجعلونه تحت الحصر و يحرقون فى الرساتيق وقت البيادر ما يكفيهم الى عام قابل ثم يسودونه و يخبزونه ويطبخون الدعجات مثل أهل الشام أهل الحمل دررو وتلقى بينهم الكبرى و رأس الله والصغرى وحق على عيون رؤوس السمك و يقال انهم اذا رأوا شابا قد اشترى سمكا تبعوه فاذا رمى رؤوسها أخذوها كثروذا فى المشمس أخضر شىء حيوان من زلال صغير يقال و يسمى مال الحائط

ومن عيوبهم ضعف قلوبهم وقلة نشارتهم وأهل الشام ازدهم و يسخرون منهم و يقولون مطر أهل مصر الندى وطيرهم الحدأ وكلامهم سيدى رطلونا مثل الناس أعزك الله مثله كذا لباسهم الطيلسان وطعامهم الحمص وحيتانهم المالح وحلواهم النيد وقطائفهم الخبز بر وزيتهم كفر

وأما النيل فأرق ولا سمعت ان فى جميع الدنيا ماء أحلى منه إلا النهر الذى وزيادته من شهر بؤونه الى شهر توت وقت عيد الصليب ولها سدان أحدهما يسمى شمس ترت بين الخلفاء والترب قبل الفسطاط الذى يرد الماء من السد وعلا الماء على الجرف أهل الصعيد سمى تلك الضياع مثل بوبت والتليس وشرو والمهور وهو سد خليج أمير المؤمنين فاذا كان يوم عيد الصليب وقت انتهاء الزيادة خرج السلطان الى عين شمس فأمر بفتح هذه الترعة وقد سد أهل الجرف أفواه أنهارهم حتى لا يخرج الماء منها وجعلوا عليها الحراس فيتحدر الماء الى ضياع الريف كلها والترعة الأخرى أسفل من هذه وأظن أن السلطان لا يحضرها ومقياس النقصان فى النيل وهى سرداب بالفسطاط بركة وسطها عمود طويل فيه علامات الأذرع والأصابع وعليه وكيل وأبواب محكمة يرفع الى السلطان فى كل يوم مقدار ما زاد ثم ينادى المنادى زاد الله اليوم فى النيل المبارك كذا وكذا وكانت زيادته عام الأول فى هذا اليوم كذا وكذا وعلى الله التمام ولا ينادى عليه الا أن يبلغ اثنى عشر ذراعا الا انه يرفع الى السلطان حسب والاثنا عشر ما يوشع الريف فاذا بلغ أربعة عشر سقى أسفل الاقليم فاذا بلغ ستة عشر استبشر الناس وكانت سنة مقبلة فان جاوزها كان خصب وسعة فاذا نضب الماء أخذوا فى الحرث والبذر وفى أيام زيادته تصير مصر حتى لا يمكن الذهاب من هذه الضيعة الى الأخرى الا بالزوارق فى بعض المواضع

الفسطاط جبل فيه معدن النفط [illegible] زاج [illegible] لا نرى مثله وطين يسمى طفل [illegible] الطعام [illegible] حجارة بعض [illegible] لا [illegible] الخشب ، ثم ذكر مشاهد مصر [illegible] الأحجار من الخرافات [illegible] في [illegible] وعلى [illegible] من الفسطاط موضع [illegible] فيه مسجد [illegible] من الماء وموضع [illegible] وسوق [illegible] الآخرة [illegible] حسن [illegible] في غاية الحسن والعمارة ترى [illegible] ثم ذكر بعض عجائب مصر مثل [illegible] كيف [illegible] على [illegible] ذكر [illegible] عين شمس [illegible] ومنارة الإسكندرية [illegible] الشهور القبطية . وقال إن طول مصر من بحر الروم إلى النوبة أقل من شهر وعرضه من الجنوب [illegible] اثنا عشرة [illegible] الهرم أربع مراحل . وأما الولايات [illegible] لأنه سلطان قوي [illegible] في راحة [illegible] وكل سامع مطيع من الأركان سرا وعلانية لا يخطب إلا لأمير المؤمنين حسب ، ثم ذكر خراج مصر نقلا عن قدامة ابن جعفر وابن الفقيه إلى أن قال :

وسألت بعض المصريين [illegible] عن الخراج فقال ليس على مصر خراج ولكن يعمد الفلاح إلى الأرض [illegible] السلطان [illegible] فإذا حصد ودرس وجمع [illegible] الخراج [illegible] السلطان [illegible] الأرض [illegible] الفلاح [illegible] السلطان [illegible] عليه في [illegible] الأرض [illegible] لا يكون لأحد [illegible] لا [illegible] إلا [illegible] من [illegible] السلطان في [illegible] إلى [illegible] البلد

وقال : وأما [illegible] على ساحل النيل وأما [illegible] إلى [illegible] الاستصناع [illegible] السلطان [illegible] عليهم وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدة ثم يحمل إلى من يطويها ثم إلى من يشدها بالقش ثم إلى من يشدها في السفط ثم إلى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم يأخذه ثم على باب الفرضة يؤخذ أيضا شيء ، وكل واحد يكتب على السفط علامة ، ثم تفتش

المراكب عند اقلاعها ويؤخذ بتنيس على زق الزيت دينار ومثل هذا واشباهه ثم على شط النيل بالفسطاط ضرائب ثقال ورأيت بساحل تنيس ضرائبيا جالسا قيل قبالة هذا الموضع فى كل يوم الف دينار ومثله عدة على ساحل البحر الصعيد وساحل الاسكندرية وبالاسكندرية أيضا على مراكب المغرب وبالفرما على مراكب الشام ويؤخذ بالقلزم من كل حمل درهم

وهنا ذكر المسافات بين بلاد الاقاليم بحساب المراحل وكل ذلك من جميع الفوائد العمرانية التى لا نكاد نراها فى الكتب الاخرى المتعلقة بذكر البلاد الاسلامية ولا بأس بان نختم هذا الفصل بنموذج آخر من كتاب المقدسى فى ذكر مملكة الاسلام قال:

اعلم ان مملكة الاسلام حرسها الله تعالى ليست بمستوية فيمكن ان توصف بتربيع أو طول وعرض وانما هى متشعبة يعرف ذلك من تأمل مطالع الشمس ومغاربها ودوخ البلدان وعرف المسالك ومسح الاقاليم بالفراسخ وسنجتهد فى تقريب الوصف وتصويره لذوى العقول والافهام ان شاء الله تعالى الشمس تغرب فى حافة حد المغرب ويرونها تغرب فى البحر المحيط وكذلك أهل الشام يرونها تغيب الى بحر الروم واقليم مصر يأخذ من البحر الرومى طولا الى بلد النوبة ويقع بين بحر القلزم وتخوم المغرب وبلد المغرب من تخوم مصر الى البحر المحيط مثل الشريطة ضيقة من قبل الشمال بحر الروم ومن قبل الجنوب بلدان السودان وبعد اقليم الشام من تخوم مصر نحو الشمال الى بلد الروم فيقع بين بحر الروم وبادية العرب ويتصل بالبادية وبعض الشام بجزيرة العرب ويدور على الجزيرة بحر الصين الى عبادان من ارض مصر ويتصل أرض العراق بالبادية وبعض الجزيرة ويتصل بتخوم العراق الشمالية اقليم أقور فيمتد الى بلد الروم وقد تقوس عليه الفرات من نحو المغرب ووقع خلف الفرات شبه البادية وطرف من الشام فهذه اقاليم العرب ووقعت خوزستان والجبال على تخوم العراق الشرقية وطائفة من الجبال واقليم الرحاب على تخوم أقور الشرقية ووقعت فارس وكرمان والسند خلف خوزستان على صف واحد البحر جنوبيها والمفازة وخراسان شماليها وتحت السند وخراسان من قبل الشرق بلدان الكفر وتحت الرحاب بلد الروم من قبل المغرب والشمال ووقع أقليم الديلم بين الرحاب والجبال والمفازة وخراسان فهذه مملكة الاسلام فتدبرها وفيها تطاول وتعرج ان شئتها من شرقها الى غربها الا ترى انك اذا اخذت

من البحر المحيط الى مصر كلها على الاستواء ثم تميل يسيرا الى العراق ثم تعلو في أقاليم الأعاجم وخراسان مائلة الى جهة الشمال أولا ترى ان الشمس تطلع عن يمين مارا من اهل اسبيجاب

وأما مسافتها على الوصف الذي شرحناه فانك تأخذ من البحر المحيط الى القيروان مائة وعشرين مرحلة ثم الى النيل سبعين مرحلة ثم الى دجلة خمسين مرحلة ثم الى جيحون ستين مرحلة ثم الى تونكث خمسة عشر يوما ثم الى طراز خمسة عشر يوما وان عطفت الى فرغانة من جيحون الى أوزكند ثلاثون مرحلة وان عطفت الى كاشغر فاربعين مرحلة . وعرضها أكثر ما أخذ من سواحل اليمن الى البصرة خمسين يوما ثم الى اصفهان مائة فرسخ وأربعة وثلاثين ثم الى نيسابور ثلاثين مرحلة ثم الى جيحون عشرين مرحلة ثم الى طراز ثلاثين مرحلة وهذا على الاستواء ويتوسط اقليم مصر والمغرب والشام . وأما العرض فيختلف بحسبه لأن اقليم المغرب قليل العرض وكذلك مصر ثم اذا حاذيت الشام اتسعت المملكة ثم لا تزال تتسع حتى تصير وراء جيحون الى حد السند نحو ثلاثة أشهر وإنما يعرض عرض الأرض من ملطية مارا على الجزيرة والعراق وفارس وكرمان الى أرض المنصورة وما يذكر المراحل الا أنها تكون نحو أربعة أشهر نحو عشرة أيام والذي ذكرناه أبين وأقرب من أقصى الشرق بكاشغر الى السوس الأقصى نحو عشرة أشهر

قدر الجباية سنة ٢٣٢ ما ارتفع من الخراج والصدقات سوى الجاليات والهدايات من جميع المملكة فبلغ الفي ألف وثلاثمائة ألف وعشرين ألفا ومائتين وأربعة وسبعين دينارا ونصفا قال وبحسب خراج الروم للمعتصم فبلغ خمسمائة قنطار وكذا قنطارا ذهبا به أقل من ثلاثة آلاف ألف دينار فكتب الى ملك الروم ان أخس ناحية عليها أخس عبيدي خراجها أكثر من خراج أرضك . وطول المملكة على حقيقتها ألفان وستمائة فرسخ كل مائة فرسخ ألف ألف ومائتا ألف ذراع فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربعة وعشرون اصبعا والاصبع ست حبات شعير مصفوفة طولا منسوبة الى حمص والميل ثلث الفرسخ وفي البريد خلاف فبالبادية والعراق اثنا عشر ميلا وبالشام وخراسان ستة أميال الا أن في خراسان على كل فرسخين رباط ورتب فيه أصحاب البريد فيها أجراءه

ولا يسع المنصف عند تلاوة هذه الموجزات من الوصف الملائمة الا ان يحمد علماء العرب فيما دونوه بحسب ما انتهى اليه ارتقاء العلم في عصورهم والا

ووقع لهم ما يؤخذ اليوم عليهم وهو قليل جدا بحسب ما لو انا السنة البحث والتنقيب فان هذا لا يقدح في أعلامهم ولا يحول بيننا وبين احيائها وتدارسها على علاتها خلافا لما يضج به المتنطعون من المتفرنجين مما ممن لم يسعدهم الحظ ان يدرسوا كتابا عربيا وقاية عليهم انهم قرأوا مبادىء العلوم باللغات الافرنجية وجمدوا عليها جمود بعض الفقهاء على ما قاله المتأخرون منهم وترك الرجوع الى الاصل الصحيح من كتب السنة بدعوى ان المتأخرين حرروا كل شيء فلم يبق حاجة الى الاخذ عمن قبلهم

اللغة الانتقادية

رأينا في القصة كتابا اشتد الفرحون بقدم الخط والورق صغير الحجم والقطع غير ان اسلوبه وصحة عبارته ووصفها تقتضي قدم تأليفه كما ان ترسل المؤلف ووفور مادته وسعة اطلاعه حتى انا لم نعرفها وراءنا منه الى كل أو نحو الا كتابا يجب ان يكون احداثة اللسان ولعل أديبا من صرعى الكتب والآثار يطلع على ما ننشره منه فيقفنا على مصنف الكتاب وعلى حقيقة الكتاب

هذا ورق الموجود من أول الجلد كلام على المترادفات ثم أبواب في مباحث لغوية منتقدة مرتبة على ترتيب الاسماء والافعال وفيه فصول كثيرة ممتعة والذي يهمنا مباحثه الانتقادية فلذا جاء فيها ما نقصد

باب ما هو مكسور الأول مما فتحته العامة أو ضمته

فما فتحته العامة العبارة والجنازة والرطل والمكيال والجص والرخو وقد ضربت علاوته أي رأسه وأيضا ما علق على البعير والجمل العلاوي وعلاوة الريح ومثالها للقمر ويستعمل فلان على القوم وما أخذ أحده وأخذت باخذه أي بخلائقه والجراب والاهليلجة والقثاء وفلان بإزاء العدو والسفل والطعمة والمعلم وشاعرت المرأة عشت معها في شعار وشعار القوم في الحرب والترياق والدرياق والسواك والوشاح والديوان والدبياج وجام القدح وأما الخاتم (الخاتم) فهي الدقيق ونحوه وفصح النصارى اذا افطروا واكلوا اللحم والمرفق مرفق اليد وما يرتفق به والمخدة الخدى وقيل منحة وأنت على رأس أمرك ورأس السيف منقضة والعامة تقول راس أمرك

وإنما [illegible] العامة [illegible] الحروب [illegible] رصاص [illegible] قصص [illegible] شهر [illegible] والمكروه [illegible] لغة الرجل [illegible] من الرجال [illegible] ويوم الأربعاء [illegible] والأصبع [illegible]

باب ما تكلم فيه [illegible] مما تكلم العامة فيه بالسين وبالعكس

[illegible] قارص [illegible] يوم قارس والبرد قارس وحمض قارص [illegible] قرس ولا تقل [illegible]

خمصت بطنه [illegible] ولا تقل [illegible] الرجل [illegible] ولا [illegible] الفرصة [illegible] القوم [illegible] فرصة [illegible] أي وقت [illegible] وامرأة قصيرة ومقصورة أي محبوسة [illegible] الشباب [illegible] الأسراع [illegible] والصدق [illegible] ولا تقل [illegible] من [illegible] ولا تقل [illegible] الشيء [illegible] أحسن [illegible] أحسن [illegible]

باب ما [illegible] العامة [illegible] والواو

حلوت [illegible] الرجل [illegible] ولا تقل [illegible]

[illegible] الحاء [illegible]

[illegible] أي [illegible] على [illegible] وامرأة [illegible] على [illegible] ولا تقل [illegible] أمه [illegible] إلى أبيه [illegible] إلى أي [illegible] الأرض [illegible] وقرت الضيف [illegible] من شدة [illegible] حلوت [illegible] ولا تقل [illegible]

[illegible] أي [illegible] أو الرطب من النبات [illegible] الأرض أي كثر [illegible] والواحدة [illegible]

عنوت أي خضعت وعنوت في بني فلان صرت فيهم عانيا أي أسيرا وعنت الأرض بالنبات تعنو عنوا ظهر نبتها وأعنته المطر وعنيت فلانا بكلامي حزا السراب الشخص يحزوه حزوا رفعه وحزى فلان الشيء يحزيه حزيا خرصه ويقول كم يحزي هذا النخل وعنوت بفلان أعنو عنتا ولا تقل عنيت وجلوت العروس وجلوت عن البلد أجلو جلاء وعفوت عنه عفوا وبينهما بون بعيد أي تفاوت، وما أحوله إذا كان محتالا وقد تحول أي احتال ورجل حول وما أحيله لغة وهي الحول والحيل

أبوت الرجل أبوه صرت له أبا وما له أب بأبوه وأبيت الشيء آباه إباء وسروت الثوب عني أسروه سروا وسريت الليل وأسريت

ما جاء على فعلت مما يكسره العامة أو تفتحه

عميت ودممت عيني وعطس وشمل وسبح ولج وسكل وكللت من الإعياء وكلت به وجهد ووجد وعتب وحرص ولعب سال لعابه ونحل جسمه ونحلت فلانا أعطيته ونحلت القول نحلة ولغب وغثت نفسه وقفا السيل وغلت الصدر وولغ الكلب ولغت من الإعياء وذوي العود وذبل وجمد الماء وخمدت النار تخمد وعمد وقعد وعجز عن الأمر وعجزت المرأة كبرت عجيزتها وعجزت (مضمنا) صارت عجوزا وهدت النار وهمد الثوب بلي وغوى الرجل جهل وغوى الفصيل يغوى من لبن أمه ثم لا يروى من اللبن حتى يموت هزالا وامترعف وصلح وفسد فالعم في لغتها امه

باب ما تتكلم فيه بفعلت مما تغلط فيه فتقول أفعلت

وحشت الرجل رمته ومسه بمس الميت ونجع في الرجل الدواء وفي الدابة العلف وبدت اليد والشيء من يدي ونشلته وحرمه شرا وحملت الشحم واحتملته أذنه وهزلت دابتي وفي المنطق هزلا ووقفته على كذا ودابتي وشيء على ولدي ووجدت الريح وشملت ودبرت وأجنبنا وأشملنا وأدبرنا دخلنا وجنبنا وشملنا أصابنا وبرق ورعد السماء والرجل يتهدد ويحكي أرعد ووعدته خيرا وشرا قال أسقطوا الخير والشر قيل في الشر أوعدته وكذلك إذا ذكروا الباء معه قالوا وعدته بشر وكبه الله لوجهه ووقفت الدابة أوقفتها وحششت الجمر وعظت فلانا وحميت المريض

باب ما تتكلم فيه بأفعلت مما تتكلم العامة فيه بفعلت

أدوته أعنته واستأديت الأمير عليه أليته أعطيته وأتحيته قصدته أبدرنا طلع علينا

البحر وجريا الى كذا أرسلت [illegible] وأ[illegible]
و[illegible] فلان فحلف [illegible] و[illegible] سوس [illegible] الانسان [illegible] الشرق [illegible] الشمس
شرت الارض [illegible] أحسن شربا وشرت الأمر [illegible] أحده
عرشه [illegible] ومنه من فلان [illegible] على [illegible] عليه أهل الرمث
فهو [illegible] ورب الشئ ورب [illegible]
في أرض كذا أقام [illegible] البيت [illegible] وأصلحهم [illegible]
[illegible] أرى [illegible] والارض كثرها [illegible]
كثرهم أثبت كذا أصلحه [illegible] البيت [illegible] ومنه [illegible] عرشه أي ذهب عزه
أجرته على الأمر أكرهته وجرت القدر [illegible] أي [illegible] أجحد في
خيره وجحد الشكر أجرت فلان [illegible] أجرت الفصيل شققت لسانه
[illegible] عن الرضاع [illegible] الرمح طعنته [illegible] فيه [illegible] والفرس رسنه وجر
الحبل [illegible] أجر النخل [illegible] وجرت [illegible] وحلقت
[illegible] أجرم [illegible] الجمع في [illegible]
والفرس [illegible] الركوب [illegible] جرم الصوف جزه
والنخل صرمه [illegible] أجزرت القوم أعطيتهم جزرة [illegible] أي شاة سمينة
والجمع جزر وجزرت الجزور [illegible] حمل عليه [illegible]
[illegible] على [illegible] أجمع أمره [illegible] عليه وجمعت
الشيء جمعا وجمعت المرأة لبست الخمار والدرع والملحفة [illegible] أجمل الحساب وفي
[illegible] وجمل الشحم وأجمله [illegible] [illegible]
[illegible] أجته [illegible] أحدث الشيء
وحددت [illegible]
[illegible] أحبست فرسي في سبيل الله
وأحبسته فهو محبوس وحبست فلانا في الحبس [illegible] وقبل
البشرى وحجل الغراب [illegible] الأمر كف [illegible] والمعنى [illegible]
أمه وفلان [illegible] حمل له [illegible] أحذيته أعطيته وحذوت
[illegible] وحذوت النعل بالنعل وحذت الشفرة [illegible] قطعها والنبيذ يحذي
اللسان أحسبته أكثرت له حتى قال حسب وحسبت الحساب حسبا وحسبانا

وحسبة أحدثه وحسنه محمودا أحصره منعه من سفر أو حاجة وحصره العدو ضيق عليه والحصير المحبس ورجل حصير وحصور لا يخرج من ثمن الشراب ما يخرجه أصحابه أحييت النار وحييت المكان أحيت الأرض [illegible] فيها الحياة وحيتها زرعت منها الحياة وأحال حالت الدار فهي حائل والماء صبه وبالدين على فلان وحال [illegible] عن العهد والقوس انقلبت عن العطف والحول بالذهب حال وأحال [illegible] أخطبك الصيد أي أمكنك أخطب الحنظل صار خطبانا وذلك إذا صار فيه خطوط خضر وخطب في النكاح خطبة وعلى المنابر خطبة أخطب فلان [illegible] والنجم على الصب وخفق الطائر بجناحيه خفقا وخفقانا والسراب خفقا والريح خفقانا وخفقه بالسيف وأخفقه ضربه أخفقت النجوم إذا لم يكن فيها مطر والرجل في ميعاده وأخلف الله عليك يقال لمن ذهب ماله وخلف الله عليك فيمن مات له ميت وخلف فلان فلانا صار له خليفة وجاء بعده وفوه خلوفا تغير والشيء فسد أخليت المكان أحسبه خاليا أخلد بالمكان أقام به ورجل مخلد أسن ولم يشب وخلد خلودا بقي أدلجت سرت ليلا وهي الدلجة وادلجت سرت من آخره أدمنه صاحبته مدة وما [illegible] عنه أذال فرسه أو غلامه استهان بها وقال يذيل [illegible] القوم سكتوا و[illegible] صار فيهم أي هيج وقد رمت عظامه أي بليت وفلان شابه والقوم [illegible] أربع [illegible] في شأنه وأربع وربع حمى ربعا وربع الحبل فتله على أربع قوى أرجع أهوى بيده إلى خلفه ليتناول شيئا أرمل فلان نفد زاده وأرمل الحصير رمله نسجه ورمل بين الصفا والمروة رملانا أربى على الخمسين زاد وأرماه عن ظهر دابته وأذراه ورمى الرمية رميا في كذا أسلف ورهن الرهن ولا يقال ارهن الرهن وأما قول الشاعر

فلما خشيت أظافيره   نجوت وأرهنهم مالكا

فمن روى وأرهنهم مخطئ أزبد [illegible] زبده أعطاه وأطعمه الزبد أزهر النبت ظهر زهره أزريت به قصرت وزريت عليه عبته أسفر الشرق وسفر [illegible] كشفه والريح السحاب وفلان بين القوم سفارة صار رسولا بينهم والمرأة عن وجهها كشفته والسفير ما سقط من ورق الشجر [illegible] كنسته الريح وأسررت الشيء كتمته وأظهرته وسررت الصبي قطعت سرره والسرة [illegible] أساف الرجل [illegible] وساف المال يسوف هلك ورماه بالسوف وقال الأصمعي هو السواف بالضم كالهلاك والطائر [illegible] الثوب خاط وسملت عينه [illegible] قال [illegible]

النجف (العراق)   محمد رضا الشبيبي   (البقية الآتية)

مطبوعات ومخطوطات

بداية المجتهد ونهاية المقتصد

للامام ابن رشد الشهير بابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥ طبع بالمطبعة [illegible] بمصر

كما [illegible] الاحوذيون [illegible] [illegible] في [illegible] تدل على علو كعب القوم في التفنن في التأليف ولا سيما ما [illegible] منه الشريعة واللغة والأدب منه . وهذا الكتاب الذي طبعه محمد امين افندي الخانجي الكتبي وشركاؤه [illegible] النسخة المولوية المطبوعة [illegible] كتب أحمد بك تيمور في الحواشي [illegible] [illegible] في [illegible] شرح [illegible] وهذا الامر [illegible] [illegible] في تحقيق [illegible] وشكله [illegible] آخر مطبوعات الفاضل الكتبي [illegible] اثبت فيه المؤلف من مسائل الأحكام المتفق عليها والمختلف فيها بأدلتها والتنبيه على نكت الخلاف فيها ما يجري مجرى الاصول والقواعد لما عسى أن يرد على المجتهد من المسائل المسكوت عنها في الشرع وهذه المسائل في الأكثر هي المسائل المنطوق بها في الشرع أو تتعلق بالمنطوق به تعلقاً قريباً وهي المسائل التي وقع الاتفاق عليها أو اشتهر الخلاف فيها بين الفقهاء الاسلاميين من لدن الصحابة رضي الله عنهم الى أن فشا التقليد [illegible] [illegible] على [illegible] المشتغلين بالفقه والقانون على [illegible] هذا الكتاب البديع [illegible] وموضوعه

الأدب الصغير

لابن المقفع نشره أحمد زكي باشا

مطبعة العروة الوثقى الاسلامية بالاسكندرية (١٣٢٩ — ١٩١١ ص ٧٨)

نشر أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري في السنة الثالثة من المقتبس كتاب الأدب الصغير لابن المقفع عن مخطوط [illegible] أحد [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] التي [illegible] في مطبوعاتنا [illegible] [illegible]

الله بن المقفع ولعبد الحميد الكاتب من الرسائل والشذرات وقد نشر صديقنا زكي باشا هذه الرسالة مرة ثانية نقلاً عن مخطوط ظفر به في احدى مكاتب الآستانة وقدّم لها مقدمة في الأخلاق وأشار على سادة ثقات العلماء الأدباء الى مصدر رسالته وأنها أحسن ما نشره الشيخ الجزائري في القدس وعلّق شروحها لغوية خفيفة على المتن طبع مشرق عناية بورق جيد وحسبك ما قرّرته نظارة المعارف العمومية بمصر بشأن تدريس هذا الكتاب في جميع مدارسها الابتدائية أحسن دليل على مساعدة حكومة مصر للآداب والخيار النافع من المطبوعات لانتخابها من كتبها فنكرر الثناء على همته العالية

حديث عيسى بن هشام

أو فترة من الزمن لمنشئه محمد بك المويلحي
طبعة ثانية على نفقة الشيخ محمد سعيد الرافعي الكتبي بمصر
(سنة ١٣٣٠ ص ٤٦٣)

يعتبر هذا الكتاب من كتاب الدرجة الأولى في مصر بل في البلاد العربية كان نشر مقالات متتابعة في جريدة مصباح الشرق خيالية في الظاهر وحقيقية في الباطن وصف فيها حال مصر في أخلاقها وعاداتها ثم جمعها في كتاب أعيدت طبعته الأولى قال فيه أنا وإن جعلت هذا الحديث حديث عيسى بن هشام وإن كان في نفسه موضوعاً على نسق التخييل والتصوير فهو حقيقة متبرجة في ثوب خيال لا أنه خيال مسبوك في قالب حقيقة حاولنا أن نشرح به أخلاق أهل العصر وأطوارهم وأن نصف ما عليه الناس في مختلف طبقاتهم من النقائص التي يجب اجتنابها والفضائل التي يجب التزامها وقد وفّق الكاتب لهذا الغرض من كل وجه فمثّل حياة مصر الاجتماعية ولا سيما أهل الشرف والترف من بينها وزاد بالغلو في الأخلاق وذلك التأثير في قلب القارئ بقوة البلاغة التي كتبه بها واعتدال السجع في أبوابها وتكلّم بسجع لا أثر للتكلف فيه على أنه يدل على علو كعب المؤلف في الأدب

وتسامحه في التدقيق والتنسيق . وقد رأينا بعض أغلاط لا تغض من تلك الدرر والغرر منها

في ص ٣٣ يرتكن على توقد ذهنه و ٢٠٢ ارتكاناً على [illegible] ص ٥٠ و ١٥٧ كما يرتكن عليه ص ٥٧ ولا يأبهون بها و ٢٠٠ كثرت أعدادها ص ٦٤ القاطنة على الشاطئ ٦٨ نعتت الصحافات ص ٧٣ امتلأ النادي بهما والدهشة ص ٧٩ كل يضرب على (عدى) الليل ص ٨٧ بما ارتبط بالقسوم ص ١٨٠ أحدث هذه الحانوت ص ١١٥ لا يقوى بمصيبه [illegible] ونسيا الغربي الأوراق وتسطير الصفحات و ١٣٦ حول طيا ص ١٣٥ تحفظ علها طرق محكمة تجرى عن مسافة ٢٣٧ بعدد التي في البئر فوجدها غرضاً بحملة ناس ١٨٦ سلب الملابس والمياه (المياه) ٢٦٢ أسرعت الخروج أشبه النجاة ٢٧٨ حتى لا يسمه ظروف الأحوال ٣٠٢ وهي السن التي لا تطل معها إلى الليل ٣٠٨ لكيلا الأشخاص [illegible] ٣٢٠ وهؤلاء أشبه ٣٤٤ لا تؤثر عليهم ٣٦٣ فأخفى ما فيه هذا ٣٧٩ رأس متقطعة ٣٩٦ تتعقد من رأسه عدة أموراً شتى مسافة من الزمن ٤٠٢ يتطاول الظل والطول على هذه الأهرام وحلام ٤٢٨ وعدد إلى القرية وقد مد من المرويات ما يخلص من الأصيل غرائبه فعرفت نفسها ضالة ٤٤٤ كلف من أن تحمي البيئة البيت وأن تأويا معه بالسراج

ومن هذه الأغلاط وأمثالها كثير مما هو جدير في ما عرض الصحافة يحمل في الأمة أو ضعيف في التركيب وقلة في عبر [illegible] وأما المؤلف فأصل [illegible] في هذه القدرات فإن [illegible] هو من [illegible] التي هو من أئمة العامة المصرية [illegible] الأصل في الأدب [illegible] من أعظم الناس في الوطنية يصنع أن لا تشبه المطالب من [illegible] لأمره الأفكار [illegible] من أجلها موضعاً في مصر الخطوط [illegible] الأعلام بلاغة لله

مجموعة اعمال المؤتمر المصري

طبع بالمطبعة الاميرية بمصر سنة ١٩١٢

عقد بعض أقباط مصر مؤتمراً في السنة الماضية طلبوا فيه الى الحكومة المصرية والانكليزية بعض مطالب سياسية واجتماعية منها ان تعطل الحكومة يوم الاحد بدلا من الجمعة أو مع الجمعة ومنها ان يمكن بعض ابنائهم من تولي بعض الوظائف الكبرى كالمديرين (الولاة) أسوة بالمسلمين الى غير ذلك من المطالب فهب مسلمو مصر على الاثر وعقدوا في مصر الجديدة من ضواحي القاهرة مؤتمراً عاما من كبار أرباب العقول والمفكرين والاعيان في القطر دام من يوم السبت ٣٠ ربيع الثاني ١٣٢٩ الى يوم الاربعاء ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٢٩ تليت فيه خطب طويلة ومطالب في الاصلاح رشيدة فجاء ما قاله نسخة صحيحة تمثل فيها حالة مصر الفكرية وان مصر على انحطاطها في بعض شؤونها الاجتماعية هي ارقى بلاد الاسلام بالاجمال

وكل من قرأ ما دار في ذلك المؤتمر من المطالب وبسط فيه من الآراء وفصل فيه من الخطب البليغة المدهشة يؤمن بان خاصة المصريين لا يقلون عن خاصة الاوربيين ويقوى أمله على الشرق ان يكون افراده امثالهم وبمجموعه ضمنها صنيلا وعبارات من خطب المؤتمرين في الاقتصاد والاجتماع والادارة خطبة محمود بك أبو النصر المحامي ومحمد حافظ بك رمضان المحامي وصالح بك حمدي حماد من الكتاب وابراهيم بك غزالي من الاعيان واحمد بك عبد اللطيف المحامي والشيخ عبد العزيز جاويش من الكتاب وابراهيم بك الهلباوي المحامي والسيدة باحثة البادية من الاديبات ومحمد بك أبو شادي المحامي والسيد علي يوسف الصحافي (وقد تكلمنا على خطابه في السنة الماضية) وعلي بك الشمسي من الاعيان وابراهيم بك رمزي من ارباب المصالح واسماعيل بك كامل المحامي وعبد الستار بك الباسل من الاعيان ومحمد عبد الخالق بك مدكور من التجار ويوسف بك عباس الحقوقي

وعمر بك لطفي المحامي وهاشم بك مهنا المحامي ومحمد بك علي المحامي وأحمد أفندي الألفي من أرباب الزراعة . وأنت ترى أن عدد المحامين أكثر من غيرهم ومعظمهم كانوا بمقترحاتهم وأقوالهم الى أقصى المقصود من السداد مما دل على أن مصر غنية برجال القضاء فيها ولو تيسر ان يشارك في المؤتمر موظفو الحكومة المصرية لتليت فيه من الآراء السديدة أمور كثيرة غير ما سمعناه لأن بعضهم ممن فيهم رجالا هم من خيرة المفكرين والعالمين ولكن كان المؤتمر شبه صبغة سياسية ورجال الإدارة والقضاء يمنعون في معظم الأمم من المشاركة في الأعمال السياسية الظاهرة

تنزيه القرآن عن المطاعن

للقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد المتوفى سنة ٤١٥
طبع بالمطبعة الجمالية على نفقة المكتبة الأزهرية لصاحبها الشيخ محمد
سعيد الرافعي سنة ١٣٢٩ ص ٤٣٦

مؤلف هذا الكتاب شيخ المعتزلة في زمانه وأكبر متكلميهم الذين قال فيهم الحاكم وليس تحضرني عبارة تحيط بقدر محله في العلم والفضل فإنه الذي فتق علم الكلام ونشر بروده ووضع فيه الكتب الجليلة التي بلغت المشرق والمغرب . وكان الصاحب يقول فيه هو أفضل أهل الأرض ومرة يقول هو أعلم أهل الأرض ومصنفاته كثيرة قيل إنها بلغت أربعمائة ألف ورقة في كل فن . وكتابه هذا إملاء في تفصيل ما بين المحكم والمتشابه عرض فيه سور القرآن على ترتيبها وبين معاني المتشابه من آياتها مع بيان وجه خطأ فريق من الناس في تأويلها . وهو لا يستغني عنه مولع بالبحث في الكتاب العزيز وأسراره . ويليه مقدمة التفسير لأبي القاسم الراغب الاصفهاني وناهيك بكل ما خطته أنامل هذا المؤلف الذي أجاد في كل ما كتب . والغالب ان الناشر اعتمد على نسخة دار الكتب الخديوية في طبع الكتاب الأول وعلى نسخة أحد العلماء في نشر مقدمة التفسير أو وجدها وأشار في المقدمة الى الأصل

المطبوع عنه تنبيهاً للفائدة ويزيد شكر العالم الاسلامي له .

الأخبار الطوال

لأبي حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨١

لمصححه وضابط ألفاظه وناشره الشيخ محمد سعيد الرافعي

طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ ص ٣٨٣

طبع هذا الكتاب في ليدن من بلاد هولاندة وتداوله أهل العلم واستفادوا منه على ما فيه من الأخبار الواهية الضعيفة وقد أعاد طبعه صاحب المكتبة الازهرية عاهداً الى الشيخ محمد الخضري من فضلاء المدرسين في هذه العاصمة أن يعلق على كل قطعة عنواناً لئلا يكون الكتاب جملة واحدة وبذلك أصبح قريب المنال على أهل هذا الشرق . وليت الناشر أشار الى النسخة التي أخذ عنها جرياً على عمل العلماء سواء كان اعتماده على نسخة مخطوطة أو مطبوعة لتزيد الثقة

الدولة والجماعة

لأحمد شفيق بك ترجمه محب الدين الخطيب

طبع بمطبعة المؤيد بمصر ١٣٣٠ — ١٩١٢ ص ٩٧

أحمد شفيق بك من علماء العثمانيين وكتابهم ألف كتباً ورسائل مهمة وكتب في مجلات الغرب مقالات دلت على عقل واسع وتحقيق لا يستهان به وقد ترجم له محب الدين أفندي الخطيب أحد كتاب المؤيد هذه الرسالة البديعة التي قصد بها لفت قومه الى سلوك محجة الصواب في شؤونهم الدستورية وتجنب العثرة في تكييف نظام الحكومة . وقدم لها صديقنا رفيق بك العظم مقدمة أبانت عن غرض الرسالة وألمت بذكر من ضرب في العلوم الاجتماعية بسهم وذكر المعرب ترجمة المؤلف وأثنى في ختام الترجمة على ثباته وعساه يوفق الى ترجمة المفيد من أمثال هذا الكتاب

ديوان أبي الحسن

طبع الشيخ محمد [illegible] طبع بمطبعة [illegible] بدمشق
سنة ١٣٣٠ (ص ٩٨)

جمع هذا الديوان أحمد أفندي عبيد [illegible] الناظم في أوقات مختلفة وأغراض شتى وشرحه محمد سليم أفندي الجندي شعر الناظم من شعر العلماء وشعر متوسطي الشعراء ولو طال عمره [illegible] الوقت [illegible] من حاولوا القريض وتدبروا أساليب شعر القدماء [illegible] من المحدثين [illegible] أن يطلعوا على ما نظمه شعراء الإفرنج [illegible] أقدم [illegible] على نشر شيء من منظوماتهم [illegible] والقول والشعر [illegible] من [illegible] هذه اللغة ولا سيما في أيامها الأخيرة [illegible] الذي لا [illegible] لا يطلق فيه المتوسط مثل الموسيقى والخطابة والتصوير [illegible] في [illegible] مطبوعه [illegible] ولا شك [illegible] علمه واستعداده [illegible] معالمه وقصر في خدمة أمته.

أخبار وأفكار

الكاثوليك في أميركا

إذا كانت الكثلكة تتراجع في بعض الممالك الأوربية فإنها على تزايد في الولايات المتحدة وهي البلاد التي اتسع صدرها لكل مذهب ونحلة وطريقة. فقد بلغ عدد الكاثوليك فيها [illegible] نسمة هذه السنة وكان عددهم منذ عشر سنين [illegible] وعدد رعاتهم هناك [illegible] [illegible] أساقفة وثلاثة كرادلة و٨٧ أسقفاً و[illegible] مدرسة [illegible] طالب و[illegible] مدرسة عالية للذكور و٧٠٠ مدرسة للإناث و[illegible] [illegible] تلميذ يتلقون في المدارس الابتدائية [illegible]

الثاني وبذلك بلغ عدد من يتلقون التعليم الكاثوليكي في أميركا الشمالية ١٥٤٠٠٤٩ تلميذاً وتلميذة فضل هذا التفاني في بث الدعوة الدينية في بلاد هي أعرق الامم في حب المادة والماديات

عمال الهنود

خمسة عشر مليوناً من الشعب الهندي البالغ عدده ثلاثمائة مليون نسمة يعملون في المعامل والمناجم والترامويات ويشتغلون في البلاد يحصلون على عمل لهم لا يهمهم إلا أن يأكلوا ويشربوا ويأكلوا ولا يدخرون شيئاً للمستقبل بل يصرفون في المشروبات الروحية والملذات الحسية ما يحصلونه من اجورهم قيل وان العامل الانكليزي يعمل هناك ثلاثة أضعاف العامل الهندي وبالطبع تزيد ماهيته أي أجرة عمله على تلك النسبة

خزانة كتب عجيبة

افتتحت في نيويورك خزانة كتب من أوسع الخزائن كأنها ثلاث خزائن ولا اجتمعت في واحدة فيها جميع أسباب الراحة للمطالعين بحيث تراهم في غرفها كأنهم في بيوتهم يحملون الكتب اللازمة لهم بأيديهم ويعيدونها كذلك على صورة لا تحدث تشويشاً على سائر المطالعين. وهذه المكتبة تعير الكتب اللازمة الى البيوت خاصة وفيها مطبعة لطبع الفهارس ومعامل للتجليد وأدوات لتوليد الكهربائية لايقاد عشرين ألف مصباح ومجموع طول رفوف هذه الخزانة ثمانية كيلو مترا وقد كلفت نحو مليوني جنيه

المعمرون

أثبتت احدى الأوانس الاميركيات ان أرباب الصناعات والفنون أطول الناس أعمارا واستشهدت بأسماء كثير من المصورين والنقاشين مما كانوا يحركون أناملهم وهم بعد السبعين والثمانين والتسعين والمئة من حياتهم وقالت ان بعد المعمرين يجيء جمهور اللاهوتيين والفلاسفة بطول أعمارهم وبلاد البلغار أطول الناس أعمارا ففيها ٣٨٣ ممن تجاوزوا المئة من عمرهم أي واحد في المئة من السكان ثم تليها رومانيا وفيها ١٠٧ والصرب وفيها ٥٧٣ ثم اسبانيا ٤١٠ ثم فرنسا ٢١٣ وايطاليا ١٩٧ ثم النمسا وانكلترا فروسيا فالمانيا فرومانيا

الخشب الصناعي

اخترع احد الفرنسيس خشباً صناعياً يقوم مقام الخشب الطبيعي ويخدم التجارة خدمة جلى وطريقة ذلك تحويل القش الى مادة صلبة كالجلد والورق فيخمر وتضاف اليه بعض المواد الكيماوية ثم يضغط هذا المعجون في قوالب بحسب الطلب منها الدقيق ومنها الكثيف ومنها الطويل ومنها القصير ومنها الاسطواني ومنها متوازي الاضلاع ويمكن نشر هذا الخشب كما ينشر الخشب الطبيعي ولما كان القش رخيصاً جداً في كل محل أصبح ثمن هذا الخشب رخيصاً أيضاً وهذا

الخشب يستعمل للدفء فتأجج منه نار عظيمة ولا ينبعث منه دخان كثير ويستعمل أيضا لصنع الثقاب أو عيدان الكبريت وخشبه أحسن من الحور وأقل ثمنا ويصنع منه ورق الصر ويستعمل في أمور أخرى

الخطر على المدنية

كتب أحد كتاب الانكليز بحثا في هذا الشأن قال فيه ان طبقة التاريخ قد جلت الماضي أحسن تجلية ولذلك يسوغ اتخاذها خطة مبينة للحاضر والمستقبل والامم كالاسر تكبر وتنمو كل القوة ثم تنحط بالتدريج فتستبدل قوتها ضعفا وعظمتها انحطاطا وكم من أمة حكمت العالم فأصبحت اليوم نسيا منسيا خلفها غيرها وهذه سيأتيها ما أتى سابقتها. وقد اختلفت أزمان الحضارات في القديم فلم تدم حضارة مصر أقل من خمسة آلاف سنة ودامت حضارة بين النهرين ثلاثة آلاف ومثلها حضارة الصين في حين أن حضارة فارس وآثينا واسبارطة والبندقية لم تدم كل منها أكثر من بضعة قرون. ومثل هذه العلائم مشاهدة في عامة الامم وهي من المقول بحيث ان المؤرخ عندما يكشف عن أعراض الامراض في أمة يحكم على آخرتها حكما أكيدا. وقد لاحظ بعضهم أن ترك التقاليد الحبية يتقدم أبدا سقوط الممالك وان الافراط في قبول الدخيل من الناس والتفاني في الديمقراطية والاشتراكية محلة الانحلال في الشعوب على ان هذه الآراء قد لا تصدق وتمر بها الامم لا تصيبها بالمرة. ويؤكد كثير من المتشائمين ان فرنسا ذاهبة لانحلالها وأول ما يعيبونه عليها قلة تناسلها وعدم الاتحاد بين أحزابها مما يورث البلاد ضعفا وحب المال الذي ساق الشعب الفرنسوي لاحتقار الفنون والحط من الشرف وكل ذلك ليس من الصحيح الجازم في هذا الشأن فان هناك حوادث تقلق الاجتماعيين كل القلق من مثل زيادة عدد المجانين سنة فسنة فقد كان عددهم في الولايات المتحدة سنة ١٨٨١ — ٣٦٣ في كل مئة الف فأصبحوا اليوم ٤٢٩ وصعد عددهم في روسيا من ٢٣ في العشرة آلاف سنة ١٧٨١ الى ٢٦ سنة ١٨٩٥ وكان

فقد العقل شعورهم في إرلاندا سنة ١٨٥٩ — ٧٥ إلا أنهم أصيبوا سنة ١٩٠٨ [illegible] مثل الهايلند في اسكتلندا ٤ في الألف وعند [illegible] يزيد كثيراً وبعض البلاد كاسكتلندا تشكو حاليا من هذا القبيل. ومن الشرائع التي يعهد إليها للإصلاح أعمال تحسين الصحي والأخلاق

الخطر الأصفر

لا يزال المفكرون في الغرب يذهبون مذاهب في تقدير الأخطار التي سيشاهدها الأوربيون من الخطر الأصفر أي ترقي الصين واليابان واستيلائهما على الغرب [illegible] مدنيته ويجعلون [illegible] وقد كتب أحد المحققين من الإنكليز مقالاً في هذا الصدد قال فيه ليس الخطر في أن يريد الصين مليون رجال من جندها يسيرون [illegible] على أوربا يحاربونها كما حاربت الفرس البلاد من قبل. الصيني يكره الحرب بفطرته ولا يرضى بحمل السلاح إلا [illegible] السلام [illegible] وإنما الخطر [illegible] الخطر كل الخطر في انتقال عمال الصين الحالي ومهاجرة أهلها إلى أوربا وأميركا بالملايين يكاثرون أهلها ويزاحمونهم في الصناعة والأعمال المختلفة. وقد عرفوا بصبرهم الذي لا يوصف بحيث إذا كثروا في ديار الغرب [illegible] الويلة الاقتصادية الصناعية فهم إذا هاجروا إلى بلد كالطبقة العاملة [illegible] ويقللون أجورها ويقلبون عيش أهلها هذا ما أدركته أميركا وأوستراليا فوضعتا القوانين لمنعهم بما فيها من قوة

التعليم الديني الياباني

لا يعلم الدين في مدارس الحكومة اليابانية الابتدائية مثل فرنسا وسويسرا وإيطاليا وأميركا. وهذه القاعدة جرت عليها [illegible] سنة [illegible] وحافظت عليها الحكومات التي خلفته وكانت الحكومة اليابانية [illegible] الشنتو ومجموعة الآلهة [illegible] في معابد المدارس [illegible] الذين [illegible] معابدهم [illegible]

أشياع المذاهب الاخرى رأى أن حكم كونفوشيوس على الخلق الذي يتمسك به اليابانيون تسكن النفس وخطر على كهنة بوذا أن يدخلوا في مدارس الحكومة ثم تبين أن الكنائس في اختلاف مذاهبها التي كانت تحاول تنصير اليابانيين لا ينشأ منها الا مشاكل في الآراء فأعلن الميكادو سنة ١٨٧ دستوره الجديد أغلق أبواب المدارس كلها عن دخول دين من الاديان اليها وهذا العمل السديد وقع الاستحسان عليه ودلت التجارب في هذه المدة على صوابه على ان كثيرا من البوذيين والمتنصرين ما زالوا يزعمون ان سبب انحلال الاخلاق في اليابان حظر تدريس المذاهب في المدارس ولكن التعليم الديني يمكن تدريسه خارج المدرسة بدون عائق وهذا ما جرت عليه جميع الحكومات بالتدريج لانه من أقوى الدواعي الى استقلال العقل ويرى بعض كتبة اليابان — وهم ينقل هذه الآراء ان البوذيين وغيرهم يدخلون في التعاليم الدينية مبادئ لا تنطبق على مبادئ الحكومة ولذلك كان حظر تعليم الدين أولى

سكة الصحراء

قالت المجلة الباريزية المشروع سكة حديد الصحراء الذي كثرت في تصويره الاماني لم ينل من التنشيط ما كان يتوقع له على ما فيه من الفخامة والفائدة والقوم يفكرون اليوم في مشروع اوسع منه اي ان المشروع الجديد لا يقتصر على مد خط حديدي في صحراء افريقية بل في خط يقطع افريقية فيجتاز المسافة من وهران في الجزائر الى رأس الرجاء الصالح في الجنوب اي قارة افريقية بأجمعها وهو خط حديدي طوله عشرة آلاف كيلومتر وبذلك يتيسر السفر من لندرا الى الرأس في ستة ايام ومن الرأس الى الكونغو البلجيكية في خمسة ايام وقد مدت الآن ثلاثة آلاف كيلومتر في افريقية الجنوبية ومثلها في ولاية وهران فبقي اذا ٤٠٠٠ كيلومتر وهي مسافة اقل من مسافة خط سيبريا الحديدي التي تدل على طول ٨٦٠٠ كيلومتر والعقدة في هذا الباب اجتياز الصحراء اي بين الجزائر والسودان والمسافة الفا كيلومتر تكون في بلاد قاحلة لا تجارة فيها واذا استطاع علم الانسان ان

يحول الفيضانات السنوية التي تجري في نهر النيجر بواسطة قنوات وسدود ويروي بها ذلك السطح العظيم الممتد شمال تمبكتو على نحو ما يجري في مصر وبعبارة ثانية اذا بلغ من الذكاء الانساني ان يحول مياه النيجر الى الصحراء تسقط معظم الصعوبات المنتظرة من مد هذا الخط

شرائع بابل

كتب أحدهم يقابل بين شرائع بابل وشريعة موسى فقال ان شريعة البابليين عبارة عن أحكام صادرة في أحوال معينة خاصة ومنها ما عرف منذ عرف تاريخ أشور الا ان المنكر القائل بان هذه الشريعة كانت مجموعة في كتاب واحد قد رده المؤرخون ولكن ثبت ان بابل كان لها قانون مسطر منذ عهد حمورابي المعاصر لابراهيم وكان الناس خاضعين لاحكامها في جميع المملكة من بلاد عيلام الى فلسطين ومن أهم أحكام هذه الشريعة عقوبة الاعتداء على الملكية أو الاملاك فقد كان السارق يعاقب بالاعدام الا قليلا وذلك لان بلاد بابل كانت تجارية والاعتداء على الأمن العام يعد أعظم مس بالملكية والأمن هو عامل عظيم في الحياة الانسانية فشريعة بابل من هذه الجهة تختلف عن شريعة موسى وذلك لان هذه الشريعة في الزمن الذي وضعت فيه كانت الحرب أكثر من التجارة شغل الاسرائيليين الشاغل وفيها كانت حياة الفرد تابعة للمجموع برمته كانت ملكية الافراد قليلة المكانة بالنسبة وهكذا الحال في الاختلاف بين الشريعتين يعرف ذلك من قانون الارث فقد كان الاب في بابل حراً بان يقف جزءاً مهما من ماله على ولد يحابيه أو يحبه أكثر من أولاده بوصية يوصي بها والنساء قد يمنعن من ارث ازواجهن في حالات مخصوصة لا أثر له في الشريعة الموسوية وان توريث الثروة بوصية يوصي بها المالك لدليل على تقدم في درجات المدنية وأفكار راقية في مسائل حقوق الملكية قال والأرجح ان قوانين بابل قد أثرت في شرائع آسيا الغربية كما أثرت في الشعوب السامية

القهوة وسمها

يعرف منذ زمن طويل ان في القهوة مادة سمية تحدث في بعض الاشخاص تأثيرات فسيولوجية وأوجاعاً عصبية وقلبية واضطرابات معدية وضعفاً في المجموع العصبي وقد استخرجت هذه المادة التي سموها « كافيين » سنة ١٨٢٠ واستعملت دواء مسهلاً ومنبهاً ولكنها اذا أخذت بدون معرفة تضر كل الضرر وكثير من الناس يقعون في اخطارها اذا أفرطوا في تناول القهوة على غير معرفة . وقد شبهوا الاعراض التي تصيب المكثرين من القهوة بالاعراض التي تصيب المكثرين من الالكحول فالقهوة كالمشروبات الروحية تلذ بطعمها وريحها وقلما تورث نشاطاً في الجسم الا ان الكافيين يضاعف وظائف القلب و يحدث قلقاً يتبعه دوار وأوجاع رأس واضطرابات احياناً فينبغي والحالة هذه أخذ رأي الطبيب في استعمال القهوة لان المئة غرام من القهوة الخضراء تحتوي من المادة السمية بحسب جودة القهوة ورداءتها ما لا يقل عن ثمانية بالالف ولا تزيد عن اثنين في المئة والقهوة المستعملة في الغالب تحتوي جزءاً واحداً في المئة من الكافيين وثلاثة فناجين قهوة في اليوم لا يقل ما فيها من هذه المادة عن ثلاثة في الالف . والعلماء اليوم يبحثون لايجاد طريقة يستخرجون بها المادة السامة دون ان تفقد القهوة رائحتها وطعمها

غلات طرابلس الغرب

بحثت احدى المجلات الافرنجية في حاصلات طرابلس بمناسبة احتلال الطليان فقالت ان معاملاتها اليوم تجري بالمقايضة الا قليلاً فيعطي البائع مثلاً تمراً لقاء بضائع أخرى . وأشجار النخيل أهم غنى السكان يدفع عنها خراج بقدر اعدادها كما هو الحال في مصر حيث تدفع كل نخلة سنوياً نحو ٤٠ سنتيماً . ويقدر عدد النخيل في طرابلس بنحو مليوني نخلة تجود محصولاتها بقدر ما يستطيع أهلها ريها من العيون الطبيعية او آبار الواحات وتحتاج كل نخلة لثلث لتر ماء في الدقيقة حتى لا تهلك ولكنها اذا سقيت نصف لتر تجود أكثر من ذلك . والماء موجود بكثرة تحت سطح

جرائم مضرة أقلها إزالة الثقة من الأكل. وقد وضعوا الآن قيودا يلزم بمراعاتها ومعاقبة كل من يخالفها ووصوا بأن يغطى كل شيء إن لم يكن في ألواح زجاج فلا أقل بالقماش نظيفا كما يجب. ولأنه تكثر الحشرات بين الباعة في الأزقة [illegible] والبقول لأنه لا يمكن أن يسير بها حملة ساعات في الشوارع ولا يمسها الغبار ونحو ذلك حسب التباعد وكثيرا ما تكون أيديهم قذرة. وقد رأى أحدهم أن أحسن واسطة لاتقاء الأخطار الناجمة من الباعة أن تمنع الحكومات عن [illegible] الناس من [illegible] لا [illegible] ما بيع من المأكولات على هذه الصورة فتلتزم الباعة بما يعرض في الطريق حتى تروج بضائعهم [illegible] وأقرب مثل على ذلك [illegible] الشرق حيث [illegible] القديمة [illegible] القاهرة القديمة ما يشاهد في السوقة والقرية في بلادنا لم تراع الصحة فيها [illegible] الوحشية [illegible] الناس [illegible] الأولى [illegible] الأول كل [illegible] جديد [illegible] إلى [illegible] ولا [illegible]

القرود الصحية

القرود الصحية في حدائق أوربة [illegible] حتى [illegible] هو [illegible] أن [illegible] ولا [illegible] أحد [illegible] الأول [illegible] لا [illegible] صاحبه [illegible] ويشكل قرده [illegible] في أوقات [illegible] والعادة الأخرى [illegible] صاحب [illegible] في [illegible] من كل [illegible] الأساس في [illegible] الخط والمواصفة [illegible] القرد [illegible] في [illegible] وبتأثير [illegible] والأكواخ

الأرض ولكن قلة معرفة الأهالي باصول الري الزراعي دعتهم الى ان يعتمدوا على الطرق القديمة العقيمة في السقيا وأول ماء يستخرجونه مالح وحار لانه مستقى من عمق قليل والاحسن ان ينزل في امتياح الماء الى العرق الثاني والثالث ليكون الماء عذباً بارداً غزيراً والأمطار غزيرة على الجملة في طرابلس ويكون منها ما تشرب به بقدر الكفاية وان يكن هطولها احياناً رذاذاً لاوابلاً ولا ينشأ عنها فيضان في العادة الا نادراً جداً والآبار الارتوازية العادية التي حفرت في ذلك الصقع قد أتت بفائدة وتروي البئر الواحدة أربعة آلاف نخلة وغلات الزيتون حسنة للغاية ولكن الزيت الذي يصنع منه في البلاد غير حسن الطريقة واذا استخرج على الطريقة الحديثة يكون منه مورد ربح عظيم ويزرع في طرابلس شجر اسمه السيارتي المعروف بخاصياته في التداوي وفي طرابلس مناجم كثيرة والطبقات الجيولوجية في البلاد متنوعة مثل الفوسفات والطرون والكبريت ويمكن ان يربى النعام في ذلك القطر لانه لا يحتاج الا لاماكن فسيحة ويتغذى في الاحايين بالعشب والحبوب فينافس ريشه وتجارته اسواق رأس الرجاء الصالح في جنوبي افريقية خصوصاً بعد انشاء طرق المواصلات وعدم الاعتماد في النقل على الجمال والحمال

خزن الماء

وفق أحد كبار المهندسين في أميركا الى اختراع طريقة تخزن الماء في الشتاء لتستخدم في الزراعة زمن الصيف وهو ان تعمل الارض أكماماً كبرى وتحفر في بعضها خنادق تساق اليها أمطار الشتاء وقد عممت الطريقة العملية التي اعتمد عليها واذا ظهر نجاحها أكثر لاريب أن عموم الزراعة تتخصب بها كل أرض غير قابلة اليوم الزراعة بحسب الظاهر ولا سيما في شمالي افريقية وغربي آسيا

الحرب على الغبار

أثارت بعض الولايات المتحدة الاميركية حرباً عواناً على الغبار الذائب في الصحة لما يعلق منه بالمكروبات والفواكه المعروضة للبيع في حوانيت الباعة يعلق

الجراثيم الضارة الى الآكلين ورأت الحكومة ان تحظر على بائعات البقول والفواكه ان يترك أحد من المبتاعين يمس شيئاً مما يبيعون وان لا يتركونه مكشوفاً وقد أمكن ومن خالف ذلك غرّم بغرامات باهظة ورأى بعضهم ان خير طريقة لتربية بائعي الفواكه والبقول والحلويات ومنهم من يعرضون بضائعهم للمارة ان يمتنع الناس عن أخذ شيء يخالف هذا القانون وبذلك يضطر الباعة الى العمل بقواعد الصحة كما فعل بعض المدنيين في الشرق واستنكفوا من الشرب من آنية باعة المبردات والمثلجات لامتداد الأيدي عليها فاضطروهم ولا سيما في الحواضر الى العمل بهذه الطريقة

اكتشاف أميركا

ألقى الرحالة [illegible] محاضرة في الجمعية الجغرافية في لندن قال فيها ان أول من نزلوا الى أميركا قبل كابوت هم النورمانديون في القرن العاشر للميلاد . هم المهاجرة الاول الذين اجتازوا البحر المحيط وكانت الملاحة قبلهم مقصورة على التنقل بين الشواطئ القريبة ولا يتجشمون خطر البحار واجتيازها من عرضها وسافر الايسلانديون في القرن العاشر أيضاً فبلغوا غرونلاندة وأسسوا على الشاطئ الجنوبي الغربي منها مستعمرة تشهد لذلك أسماء المدن التي وردت في دواوينهم القديمة وسنة ٩٩٥ كانت أول رحلة رحلها الرحالة أريك الاحمر الايسلاندي في المحيط

نساء الحثيين

أثبت الاستاذ كارستانج من كلية ليفربول ان كاهنات الحثيين كن من أشجع النساء المشبهات بالرجال في الامم القديمة . والحثيون احدى الامم السامية التي حالت دون تقدم الاسرائيليين نحو الأرض المقدسة وهؤلاء الحثيون هم أول شعب جند النساء في الجيش فالنساء المشبهات بالرجال المشهورات في علم الأساطير اليونانية هم الاصل فيها . وقد اكتشف الاستاذ المشار اليه في قبور حفرت في الصخر في بوغاز كوي من آسيا الصغرى صوراً من هذه الكاهنات المسلحات ومنهن من كانت تقاتل فارسة ومنهن تقاتل راجلة ومنهن من حول رب طفل يدافعن عنه وبوغاز كوي (أو

بوغاز كوي) من مدن الحثيين المشهورة وقد فقد نساء الحثيين صفتهن الحربية عندما داهم الحثيين الفريجيون والمصريون والاسرائيليون فقاتل نساء الحثيين في تلك الحروب بلا خشية مدافعات عن أولادهن ووطنهن وقد أخذت بعثة انكليزية تبحث عن آثار تلك البلاد فعرف من ان الحثيين هم من أكبر امم آسيا الصغرى قبل زمن ابراهيم وكانت لهم مستعمرات في القرن الرابع عشر قبل الميلاد تؤدي اليهم الجزية مثل مستعمرات فينيقية وليكاونيا وفريجيا وليديا وقاوموا الاسرائيليين زمناً طويلاً ولم يضمحل عمرانهم الا بعد تسعة قرون قبل الميلاد فضعفت شجاعة نسائهم.

الطب في نينوى

جرت حفريات في السنة الماضية في محل مدينة نينوى القديمة وظفر فيها بأشياء تدل على ان علم الطب وعملياته قد ارتقت في بلاد أشور قبل المسيح بستة قرون. فان عشرين الف لوحة اكتشفت وهي من مكتبة الملك أشور بانيبال الفاتح العظيم لمصر وبابل الذي نقل رعاياه الى بلاد السامرة — منها تبحث في المداواة وطرق الوقاية ووصفات الاطباء فكانوا يمنعون السكيرين الاكثار من كل شراب كما يمنعون الصيام لمن أفرطوا في الأكل وأكثر ما كان يستعمل في بلادهم من الادوية الزيت وزيت الخروع وشراب التمر والعسل والملح وكثيراً ما كانوا يستعملون التمريخ (التمسيد) ومن أصيب بالصفراء يدلك بملح الى غير ذلك من الوصفات العادية والمداواة الصحية

القبلات الضارة

تبين من ابحاث مدير العمل الكيماوي في ولاية انديانا بأميركا ان من الاولاد كثيرون أصيبوا بالسل منتقلاً اليهم من قبلات قبلهم اياها بعض المصابين من أقربائهم في أفواههم فنقلوا اليهم جراثيم العدوى فأصابت فيهم وانتشرت وان القبلات أورثت الاطفال حياض المنيات فالأحسن التقليل من التقبيل والا فيصاب الصغار والكبار بأمراض سارية من هذا القبيل

ألمنة البولونيين

وضع الدكتور بيكير كتاباً في الالمان والبولونيين وصف فيه الطرق التي سلكتها ألمانيا لألمنة البولونيين اي جعلهم المانا في اقليمي بوزنانيا وسيليزيا قال ان بسمرك غداة الحرب السبعينية قضى بان يعلم الالمانية في جميع بلاد بولونيا البروسية وتناول هذا التعليم سنة ١٩٠٠ التعليم الديني فاخذ البولونيون يقاومون ذلك كل المقاومة والحكومة تعمد الى كل قوة في اخضاعهم لتعلم الالمانية وترك لغتهم حتى تلقى الاساتذة في المدارس أوامر من الحكومة لاستخدام العصا والضرب باليد والرجل ومع ان الحكومة عاقبت آباء التلامذة الذين حاولوا اقامة الحجة على هذا الضرب من التعليم بعقوبات شديدة للغاية لا يسعنا ان نقول بان المانيا استطاعت ان تبدل الروح البولونية ولا ان تضعف الايمان البولوني ولا الرجولة البولونية

وهذا ما عانت كذلك كل أمة تحاول أخرى ان تقضي على لغتها خصوصاً اذا كانت الأمة المحكومة أشرف من الأمة الحاكمة وأيد مادة ومعنى

مدارس تدبير المنزل

كثرة المعامل في أوربا دعت النساء في معظم الممالك ان يقبلن عليها ويتركن ما تخصصن له من ادارة البيوت حتى ان بعض بلاد المانيا وسويسرا أخذت تجد صعوبة زائدة في ايجاد خادمات وغيرهن لادارة شؤون البيوت فرأت سويسرا ان تنشئ مدارس تعلم تدبير المنزل للفتيات فيتعلمن الطبخ والخبز وعمل الحلوى والمربيات وشغل الابرة والغسيل والكي وهندام البيوت ومبادئ الصحة والحساب وينلن لدن خروجهن شهادات تسمح لهن بالابتعاد عن المعامل وكثير منهن يرجعن الى بيوت آبائهن وقد ثبتت حسنات هذه المدارس وهذا التعليم في تلك البلاد وياحبذا لو أسس مثلها في هذه الديار فان الفتيات الفقيرات لا يجدن ما يعشن به وكثيراً ما يضطررن الى الاتجار بالاعمال المحظورة لما كان [illegible] ولو كن متعلمات بعض المبادئ في ادارة شؤون البيوت لهان على أكثر أهل اليسار في هذا القطر

وغيره أن يستخدموهن بدلاً من الاجيرات والفتيات الغرباء

الموسيقى العربية

رفع نجيب أفندي نحاس المحامي الى معتمد انكلترا بمصر تقريراً باللغة الفرنسوية عن الموسيقى العربية قال فيه: يظن الاوربيون ان موضوع الموسيقى العربية حقير للغاية لا يستحق الاهتمام وهذا ناتج عن كون الموسيقى العربية غير متقنة في ايامنا هذه لانه نقصها قواعد التأليف وامتزاج الاصوات ولكن من تأمل الحانها الفاها غاية في الرقة واللذة ونتأكد انها بقية علم كان زاهراً في العصور الغابرة

ولذلك سعيت منذ ١٥ سنة في البحث عن أصول هذا الفن الجميل ووقفت الى مؤلفات مكتوبة بخط اليد ومحفوظة في أوربا ففي مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة نظارة المستعمرات في لندن عثرت على ١٥ مؤلفاً باللغة العربية والفارسية · وكذلك في مكاتب باريز وفينا وميلانو وليدن فاني عثرت على ١٤ مؤلفاً أخرى . وقد اتضح لي منها ان الموسيقى كانت زاهية زاهرة ايام الخلفاء . فاجتهدت في استخراج الابعاد التي يتكون منها المقام العربي من القرار الى الجواب فاذا هي ١٧ بعداً خلافاً للابعاد الاوربية فانها ١٢ بعداً فقط . وقد أجمع المؤلفون الاوربيون على ذلك عدا بعضاً منهم فانهم خالفوهم الى درس ناقص في هذه المؤلفات . ومن ضمن من كتبوا في هذا الموضوع فاتيس وامبروس وكيزفيتر والبارون همر بورجستال ولاند والبارون كارادي فو وألي سميث وآخرون . وقد امتحنت الارقام الحسابية بالطريقة الجبرية وطريقة المونومتر وفحصت الآلات المحفوظة في متحف سوت كنسنغتن الذي تكلم عنها كارل أنجل في كتابه الثمين عن ذلك المتحف

ولما كان هناك فرق بين الابعاد العربية والاوربية فلا يمكن احداث الانغام العربية على الآلات الاوربية ولذلك اهتممت بصنع بيانو شرقي في برلين وقد حضرت حالاً من سفري هذا الى أوربا لتتميم هذا البيانو ومتى تم اسعى في اصطناع الآلات الاخرى كآلات النفخ الخشبية والنحاسية وقد وضعت طريقة

لكتابة الموسيقى العربية علامات تكتب من اليمين الى الشمال على سبعة أسطر لسهولة الاستعمال ومتى تم تركيب هذه الآلات سأؤلف جوقة تضرب وأؤلف أوبرا كوميك وما أشبه ذلك

ولما كان ذلك يستلزم لعمله مالاً وافراً ووقتاً طويلاً ومصاريف لاصطناع هذه الآلات وانشاء مدارس لتعليم الموسيقى العربية بحسب الطريقة العلمية التي سأدونها في الكتاب الذي سأطبعه قريباً فقد فكرت في أن أتشرف بوضع مشروعي هذا تحت رعاية فخامتكم السامية ولكل جهة في أوربا مدرسة الموسيقى على نفقة الحكومة ويكون ذلك في مصر أيضاً اذا شمل مشروعي هذا بعين الرعاية وكلفت نظارة المعارف العمومية في مصر الاهتمام بمساعدة هذا المشروع مساعدة مالية وأدبية .

ولاشك في أن هذه المدارس الموسيقية في مصر ستساعد على تربية الشبيبة المصرية وتهذيبها لان الموسيقى لغة الارواح ترفع النفس الى الرغائب الحميدة وتميل بالعقل والقلب الى محبة الخير . ومتى وجدت في مصر موسيقى عربية مؤلفة على قواعد العلم ومعاهد لتعليم الموسيقى الاهلي يصير لمصر مزية أخرى في عيون السياح وكنت لها في سلم الحضارة والارتقاء درجة أعلى لان الموسيقى هي لغة التمدن والارتقاء

إحصاء زراعي لمصر

أحصت الحكومة المصرية الأراضي الزراعية في السنة الزراعية التي ابتداؤها شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩١١ وانتهاؤها شهر أغسطس (آب) سنة ١٩١٢ فكان الشتوي

النوع	س	فدان	جناين	١٨	٢٨١١٩	الحلبة
خشخاش	٠٩	٦٥٥	حمص	١٠	١١٢١	
ترمس	٠٥	٩٩٠٠	حلبة	١١	٥٣٠٠٠	
قطن	٢٢	١٠٧٩	كتان	٠٧	٧٣٢٤	

عدس	٠٧	٦٣٣٤٤	بصل	٠٩	٢٦٣٩٢
أصناف مختلفة	٧٣	١٥٨٢٧	جلبان	٠٤	٣٢٢٩٧
شعير	٣٢	٣٦٤٠٥٠	برسيم	١٩	١٣٦٨٣٦٥
فول	١٧	٥١٧٣١٨	قمح	١٩	١٢٨٢٩٣٥
الصيفي :					
بطيخ وشمام	٠٤	٢٣٥٩٥	بقول	١٤	٢٢١٢٩
نيلة	١٣		سمسم	٠٢	٢٦٩١
حناء	١٥	١٣٤٢	فول سوداني	١٤	١٢٥٧٣
قصب	٠٦	٧٩٥٧٣٨	ذرة		٥
أرز	٠٨	٢٠٦٢٤	قطن عفيفي أصيل	٠١	٣٩٨٣٦
قطن نوباري	١٤	٩٦٨٥٦٦	« اشموني	٠٩	٢٤٤٢٦٥
« عباسي	١٣	٣٦٣٥٤	« ميت عفيفي	٠٢	٨١٩١٠
« يانوفيتش	١١	٣٤٩٢٣٨	« سكلاريدس	٣٠	١٩٧٤٥٠
اجمال المزروع	٠٦	٣٦٧١٢٨٨			
تنزيل مزروع بالتكرار	٠٥	٢٢٩٥٨٣٤			
صافي الزمام	٠١	٥٣٨٥٤٠٤			
ضم بور ثابت	٢٣	٢٢٩٣٢٤٨			
أصل التكليف	١٨	٧٦٨٣٣٣٢			

المدنيات

مات مؤخراً في البلجيك رجل اسمه انطون الشافي أو الكريم وكان يعمل العمال فلم يكتب له ان تعلم ما يخرجه عن الامية وقضى بعض حياته وهو يدعي شفاء المرضى وكم مقعد اقامه على رجليه ومن أعمى رد اليه بصره وكان يدعي ان الايمان هو العامل الوحيد في شفاء قصديه للاستشفاء على يديه ممن يمشون منهم بالمئات كل يوم حتى ضاقت صدور الاطباء الرسميين منه لانه كاد يقطع ارزاقهم

فأقاموا عليه دعوى فحكمت المحكمة ببراءته لانه لم يكن يتقاضى اجرة عن عمله وبعد ذلك أسس له مذهباً سماه الانطويني نسبة اليه فكثر اتباعه وأتى كثيرة في اقطار العالم . وقد تبرع أحد عشاقه بمئة الف فرنك ليبني له في جميس من بلاد بلجيكا معبد وقدم محضر فيه ١٣٠ الف توقيع يطلب فيه الحكومة البلجيكية ان تعترف بالمذهب الانطويني بانه من الاديان الرسمية وتأسست شعب لتعليمه في بعض مدن فرنسا . قالت المجلة التي ننقل عنها بعد ان أوردت أحاديث لبعض من أولعوا بهذا الزلزال ان دعوى شفاء الاسقام كانت مألوفة في كل عصر عرفتها الهند ويونان وروميه وكان الغاليون أجداد الفرنسيس وغالبا ملأوا الصوامع والقرى وهم متوفرون على ممارسة صناعتهم التي كانت تعد من توابع السحر تحرمها الكنيسة أو تسامحهم بها أو تقتل أهلها الا ان هذا الاضطهاد لم يفتر عزائمهم وعادوا في كل قرن يحيون من رمادهم فالظاهر ان عنصرهم لا يفنى وهم في العصر يقاومون بسقوطهم ارتقاء العلم ونشوء الاخلاق واتساع الافكار بالبحث والنظر وكم فيهم من جلبهم المال حتى في هذا العصر وسالوهم أسئلة وضربوهم بنوالهم والاغرب من ذلك ان في باريز بحسب احصاء دائرة الشرطة زهاء عشرة آلاف عراف وعرافة انتشروا في اشرف احياء الاشراف منها وأكثرها سكانا يمارسون صناعتهم علناً ويعيشون من هذه الاباطيل تحت سمع حكومة الجمهورية مؤلهة العقل وبطر العلماء الذين كشفوا كل غامض أو كادوا .

المصافحة والصحة

قالت احدى المجلات الافرنجية ان المصافحة تكفي للدلالة على صحة المتصافحين فهزة الكف اذا كانت ثابتة حرة من رجل عامل حسن الصحة يكون فيها دائما قليل من القسوة ولكن هذه القسوة اذا تجاوزت حد اللياقة في اللمس والادب تدل على ضعف موقت في الارادة وتشعر باضطراب من يهز كفك وان اليد التي تمد رخوة بدون ضغط تدل على ضعف في الجسم والفكر موقت واذا صافحتك مصافح بسرعة وعصبية فستدل من ذلك على مزاج حاد سريع الانفعال

واليد التي لا حركة فيها الكسلانة تدل على ضعف صاحبها والحق ليست أكثر دلالة من اليد على مزاج صاحبها فان لمس المصاب بها يكفي في تشخيص مرضه ،

ازالة البقع

اذا سقطت الدهون والشحوم على خشب غرفة الطعام فازالة بقعها سهل للغاية على شرط ان تتداركها في الحال وهي طرية وذلك بان تضع على البقعة روح التربنتين وتتركه عليها ساعتين ثم تمسحه بدون فرك وتلقي على البقع طبقة صغيرة من السعوط وتمر حديدة محماة فوقها فالسعوط يأكل الدهن والشحم كما يأكل التربنتين والبنزين والسيرنو بقع الثياب

أصل الجعة

قالت مجلة التواريخ السياسية والادبية ليس من السهل ان يبين أصل البيرا أو الجعة التي تصرف منها اليوم كميات وافرة وغاية ما نعلم ان البشر حاولوا في ادوار مختلفة ان يتبردوا بغير مياه العيون الصافية من الاشربة فكان لهم من اللبن وعصير الفاكهة والعسل والحب المسحوق مادة يعملون منها أشربة مخمرة ومنها جاء شراب القوميس (لبن افرس) والخمر وخمر التفاح (السيدر) والاجاص والجعة وشراب الزعرور اهتدى البشر الى صنعها كلها بعقولهم فنقلها الخلف عن السلف وقد بحث الباحثون المحققون في انكلترا والمانيا والنمسا وهي البلاد التي يبالغ سكانها في تعاطي الجعة عن زمان ظهورها وكتبت المجلدات الضخمة في قدم الجعة ولم يستطع أولئك الباحثون ان يصلوا الى أصلها وغاية ما عرف ان ديودور الصقلي وهيرودتس المؤرخ أثبتا ان المصريين عرفوا الجعة قبل المسيح بألفي سنة والغالب ان الملك أوزيريس كان رأس صانعي الجعة وبائعيها وقد دلت أوراق البردي التي عثر عليها في مدينة نقرة على شاطىء النيل اشتهرت بعملها لصنع الجعة وقد يرد على هذا الرأي أن صنع الجعة انتقل من الهند كما انتقلت مبادىء سائر الحضارات